الفصل الثالث

الاستيطان اليهودي في فِلِسْطين: أسبابه وعوامله

١- هجرة اليهود إلى فِلِسْطين

يَعود الوجود اليهوديّ في القُدْس إلى ما قبل ٣٠٠٠ عام، فقد بدأ وجودهم منذ الألف الأول قبل الميلاد، رَغْم تهجيرهم عنها ونفيهم خارج البلاد في العصرَيْن البابليّ والرومانيّ، ثم زادت أعدادهم في المنطقة مع فتح المسلمين لها في عام ٦٣٤م، ورَفْع المحاذير التي طُبِّقت عليهم من قبل.

كانت أراضي الدَّوْلة العثمانيّة ملاذًا آمنًا بالنسبة لليهود الذين عاشوا أيامًا عصيبةً في غرب أوربا، وزادت أعدادهم في الدَّوْلة العثمانيّة زيادة هائلة، واستقرّ كثير من اليهود الذين أُخرِجوا من إسبانيا في الرُبْع الأخير من القرن الخامس عشر في مدن كبيرة مثل إسطنبول وأدرنه وسالانيك، وإذا كانت أعداد اليهود الذين تعرّضوا للإبعاد من روسيا ولِتْوانيا والبُرتغال وصقلية ورودوس وإسبانيا وغيرها من وسَط أوروبا وشرقها، إذا كانت أعدادهم قليلة، فإن الذين قَدِموا منهم إلى الدَّوْلة العثمانيّة استقرّوا في أراضي البَلْقان على وجه الخصوص، واستقرّ البعض الآخر في مُدن مُهمّة من فِلِسْطين مثل القُدْس وخليل الرحمن والصفّد وطبَرية، واستمرّت هجرة اليهود إلى الدَّوْلة العثمانيّة على فترات من الزمن، وكان هناك مُستوطِنون يهود في القُدْس والمناطق المجاورة لها عندما آلت فِلِسْطين إلى حكم الدَّوْلة العثمانيّة عام ١٥١٧م.

وما بين عامي ١٦٤٨-١٦٦٠م تعرّض اليهود في بولونيا وأوكرانيا لضغوط شديدة، فهاجر بعضهم على إثْر ذلك إلى أراضي الدَّوْلة العثمانيّة، واستقرّ بعضهم في أحياء "بلاط (*Balat*)" و"خاصكوي (*Hasköy*)" في إسطنبول، واختلطوا مع يهود القَرَّائية[٧٣] هناك.

(٧٣) القَرَّائية: مذهب يهوديّ نشأ في بغداد في القرن الثامن وقِوامه رفض التمسك بسنة التلمود. (المترجم).

هاجرت أعداد من اليهود إلى أراضي الدَّوْلة العثمانيّة لِمَا عانَوْه من صعوبات جديدة في الأماكن التي كانوا يعيشون بها؛ وذلك عندما بدأت الدَّوْلة العثمانيّة تفقِد تأثيرها في وسَط أوربا مع بدايات القرن السابع عشر، وكان لهم مَعْبد في إزمير يقصده من هاجر من أوربا في القرن السابع عشر.(٧٤)

ورَغْم هذا لا تجد الدَّوْلة العثمانيّة حتى نهايات القرن التاسع عشر مشكلة بوجود اليهود في فِلِسْطين، فقد عاش اليهود في هذه الفترة أقلية مُطمئنةً في مناطق الدَّوْلة العثمانيّة خارج أراضي فِلِسْطين حتى انهيار الدَّوْلة العثمانيّة، ولم تحدُث أيّة مُشكلة حقيقية مع اليهود الذين أصبحوا من رعايا الدَّوْلة العثمانيّة؛ وذلك لأنهم لم يُكوِّنوا أغلبية في منطقة بعينها داخل حدود الدَّوْلة العثمانيّة، كما أنهم لم يتبنَّوْا حركة انفصاليةً.

قام اليهود بأوّل هجرة عملية إلى فِلِسْطين عام ١٨٣٧م، وأقام "*Mosha Montvior*" أوّل مُستوطنة لهم في نهاية حُكْم محمد علي باشا؛ إذ أخذ اليهود بعض الامتيازات وحقّ الحماية من الدَّوْلة العثمانيّة، ووصلت أعدادهم عام ١٨٣٧م إلى ١٥٠٠ نسمة، واستمرّت في التزايد بدءًا من هذا التاريخ، فوَصل عدد الذين سكنوا فِلِسْطين إلى ١٥ ألفًا عام ١٨٦٠م و٢٢ ألفًا في عام ١٨٨١م، وكانت القُدْس أكثر المدن التي استقرّوا فيها، ويُعتبر حيّ "*Jamin Mosha*" الذي أُقيمَ خارج أسوار القُدْس عام ١٨٥٩م هو أولى محاولات اليهود للاستيطان في القُدْس.(٧٥)

تعرّض قيصر الرّوس ألكسندر الثاني للقتل نتيجة مؤامرة، وتزامن ذلك مع الفترة التي اشتدّت فيها المُعارضة اليهودية في أوربا وروسيا؛

(٧٤) علي أرسلان، **الهجرة اليهودية الثانية من أوروبا إلى تركيا**، دار نشر تروا، إسطنبول، ٢٠٠٦م، ص ١٨-٢١.

(٧٥) رياض ميشال، **التطور السكاني في الأردن وإسرائيل منذ النشأة وحتى اليوم، وتحليله البنيوي** (رسالة ماجستير)، جامعة إسطنبول، إسطنبول، ١٩٩٧م، ص ٥٩-٦٠.

فاعتبرت السلطات الروسية اليهود مسؤولين عن هذه المؤامرة، وتحوّلت سياسة الضغط التي اتبعتْها روسيا حتى ذلك الوقت مع اليهود إلى هجوم بعد وقوع هذا الحادث، فبدأ اليهود الذين لم يتحمّلوا ذلك الهجوم بهجرة جماعية تركوا فيها المدن التي كانوا يعيشون فيها من روسيا وبولونيا، فبدأت الهجرة الأُولى ما بين عامي ١٨٨١-١٨٩١، ترك خلالها ١٤٥٠٠٠ يهوديًّا روسيا، وهاجروا إلى غرب أوربا وأمريكا، ووصل إلى فِلِسْطين كذلك ما يُقارب ٣٠٠٠ يهوديّ حفّزتهم على ذلك جمعية "مُحبّي صهيون" وموّلتهم.

وفي عام ١٨٨٢م أقام المهَجَّرون اليهود أوّل مستوطنة يهودية بعد مستوطنة "مِكفيه إسرائيل (*Mikveh Israel*)" بالقرب من يافا، وأطلقوا عليها اسم "ريشون ليتسيون (*Rishon Le-Zion*)" أي الأُولى في صهيون، ولم يَلبثوا أن أعقَبوها بمستوطنات أُخرى صغيرة مثل "زيخرون يعقوب (*Zikhron Ya'akub*)" أي ذكريات يعقوب، و"روش بينا (*Rosh Pinah*)" التي تُرْجمت بالمعنى حجَر الزاوية، و"تاح تِكوا (*Petah Tikva*)" وتَعني باب الأمل، وشَعر المُهجَّرون الذين سكنوا هذه المُستوطنات بالمُعاناة في تعلّم أصول الزراعة؛ لأنّهم لم يكن لأحد منهم معلومات عن منطقة فِلِسْطين التي يعيشون فيها، وفَقدوا أعدادًا منهم بسبب وباء الملاريا، وقدّم الثريّ اليهوديّ الشهير البارون "أدموند دي روتشيلد (*Edmond de Rothschild*)" يدَ العون للمُهجَّرين تخفيفًا لمُعانتهم، وأنفق عليهم مبلغ ٥-٦ ملايين جنيهٍ إسترليني، ويأتي الثريّ اليهوديّ "البارون موريس دي هيرش (*Baron Maurice de Hirsch*)" في المرتبة الثانية بعد روتشيلد، وهما من أكثر الذين دَعمُوا الاستيطان اليهوديّ، وبذلك استطاعت المُستوطنات اليهودية أن تُلمْلم من أشتاتها.(٧٦)

(٧٦) بوستانجي، مصدر سابق، ص ٩٥-٩٦.

بدأ اليهود يَتوافدون على فِلِسْطين بشكل جماعيّ تزامُنًا مع نشر كُتب "تيودور هرتزل (*Theodor Herzl*)"، لا سيما كتابه "الدَّوْلة اليهودية"، وبدأت جميعات مثل "مُحبّي صهيون" و"بني موشي" و"راشيل شركة الاستيطان اليهوديّ"، تُموّل عمليات الهجرة والاستيطان، ونجحَت هذه المُؤسّسات الثلاث ما بين عامي ١٨٨٢-١٩٠٣م في إقامة ثلاث مُستوطنات جديدة هي "ريشون ليتسيون وبني موشي وزيخرون يعقوف"، وزاد تيّار الهجرة عام ١٨٦٠م ثلاثة أضعاف مُعدّله في هذه الفترة.(٧٧)

شعر اليهود الذين لَجؤوا إلى الدَّوْلة العثمانيّة تاركين بلادهم التي كانوا فيها؛ بسبب عداء أوربا وروسيا لهم، شَعروا بسعادة عظيمة إزاء تقبُّل حُكّام الدَّوْلة العثمانيّة لهم من الناحية الإنسانية، والإحسان إليهم، وفي عام ١٨٩٢م تقدّم "موشي ليفي (*Moşe Levi*)" أفندي رئيس الحاخامية في إسطنبول بشكر إلى السلطان عبد الحميد الثاني، عبّر فيه عن أحاسيس اليهود، وتضمّن خطاب الشُكر هذا أبيات الشعر التالية:

"أطال الله عمرك وأبقاك أيها السلطان
فظلال كرمك لكل المتزينين أمان
وبلطفك سَعِد اليهود في كل مكان
وأصدقاؤك يذكرون أعمالك في كل أوان
فأنت نعمة الدنيا، وأنت السلطان عالي الشان(٧٨)."

لكن يبدو أن حسن النية لم يأت بثمار طيبة، فلم يحلّ عام ١٨٩٢م إلا وأُقيمت ١٦ مُستوطنة في فِلِسْطين؛ فبدأت الدَّوْلة العثمانيّة باتخاذ تدابير مُشدّدة في موضوع استيطانهم في فِلِسْطين، وأخذت في توطين الأثرياء والمهاجرين منهم والذين يُساعدونهم في الهجرة والمنظمات اليهودية

(٧٧) رياض ميشال، مصدر سابق، ص ٦٠-٦٢.

(٧٨) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ٧٢-٧٣.

في بيروت وسوريا خارج فِلِسْطين؛ لأنّه لم يكن ثَمّة عوائق حقيقية أمام شراء الأراضي خارجها، وسمَحت لهم وزارة الداخليّة بشراء الأراضي خارجها بشروط معلومة في آب/أغسطس عام ١٨٩٣م، ولم يُضيّع المهجَّرون اليهود هذه الفُرْصة وبدؤوا بشراء الأراضي من بيروت وسوريا للاستقرار فيها، وقد بلغت الأراضي التي اشتراها اليهود حدّا أزعج الحُكّام المحليّين؛ فقد اشتروا في شهور آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر وتشرين الأول/أكتوبر من عام ١٨٩٣م في منطقة "كَفْر (*Kafr*)" وحدها من بيروت ١٨,٣٢٩ دُونُمًا من الأراضي، و١٤١٠ دُنُمًا من الأراضي الصالحة للبناء، و١١٩ منزلًا وحظيرة... إلخ[٧٩]

استمرّت الهجرات اليهودية تتوافد إلى فِلِسْطين وسوريا وبيروت، وساعدتها على ذلك المُنظمات الصهيونية والدُّوَل الأوروبية، لكنها توقّفت تمامًا مع بداية الحرب العالمية الأُولى، وأُعيد بعض المهجَّرين اليهود مرّة أُخرى؛ لأنّهم من رَعايا الدُّوَل التي تُحارب الدَّوْلة العثمانيّة.

(٧٩) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ٩٦-٩٧.

٢- بيع الأراضي لليهود وإقامة المستوطنات

لـم يتضمّن قانـون الأراضي في الدَّوْلـة العثمانيّة مـع بداية الهجرات اليهودية المُؤرَّخ عام ١٨٦٧م أيّ بنود من شأنها مَنْع شراء اليهود للأراضي في فِلِسْطين وتملُّكها، كان اليهود يُراجعون قُنصليات الدُّوَل الغربية استنادًا إلـى هـذا القانون، ويقومـون تحت رعايتها بشـراء الأراضـي منها بأموال تزيد عن قيمة نظيرتها في منطقة فِلِسْـطين، تحرّك اليهود لبناء دولة يهودية في فِلِسْـطين، ومن خلال الزراعـة والصناعة والتجارة صنعوا ما لا يُصنـع بالمِدْفـع والبندقية.

اتّبـع اليهـود طريقـة لشـراء الأراضـي مـن أيدي الشـعب عـن طريق إقراضهـم وأَخْـذ الأرض رَهْنًـا بعـد ذلـك، حتـى إنهـم أسّسـوا مَصْرِفًـا فـى إنجلتـرا لإقراض الأموال؛ مـن أجل رَهْن أراضي الشـعب وأملاكهم بعد أن انشـغلوا بالزراعة، وصاروا مدينين للتجار والمُرابين بفوائد عالية، وكانـت الأراضـي أو الأمـلاك تُؤخـذ بواسـطة بعـض التجـار والصيارفة الأجانب الذين ليس لهم صفة رسمية في سندات الدَّين، مُستفيدين بذلك مـن جهل الشـعب الذي عجَز عن سـداد ديونـه، كان القَرَويّـون عاجزين عن سداد ديونهم، وقد قُيِّدوا بفوائد دَين عالية جدًّا، وفي ٢٩ كانون الثاني /يناير عام ١٨٨١م قام أحمد حمدي بإخطار "سري" طلب فيه من الإدارة المركزية ألا تقبل الحكومة برَهْن الأراضي من دون تصديق منها.(٨٠)

فـي عـام ١٨٨٣م صدر قانـون بَقْصْر حقّ شـراء الأملاك علـى اليهود العثمانيّيـن فقـط، واشـترط أن يحصـل الأجانب والذين غيَّروا جنسـيتهم علـى إذنٍ مـن الحكومة العثمانيّة قبل شـراء الأراضي، واتخذت الحكومة

(٨٠) BOA. ŞD. TNZ, ٢٢٧٢/٨٦

العثمانيّة إضافة إلى هذا مجموعة من التدابير الأُخرى، مثل إغلاق سواحل سوريا في وَجْه اليهود جميعهم، وتوقيع العقوبة على الذين يجيئون للزيارة ثم يتخلّفون عن العودة، وإعادة إرسالهم مرّة أخرى على الفور أو إسكانهم في أماكن مُناسبة، وإعطائهم الجنسية العثمانيّة، وإخضاع المدارس كلها لإشراف وزارة المعارف.

تبين أن القانون الذي صدر عام ١٨٩١م في عَهْد السلطان عبد الحميد الثاني لن يُتيح الفرصة لأيّ يهوديّ للحصول على الجنسية، ولن يتيح الفُرْصة أمام اليهود للاستقرار في الأراضي العثمانيّة، ثمّ صدر بعد ذلك أمر يحظُر بيع الأراضي والأملاك العثمانيّة كلها بما فيها فِلِسْطين إلى اليهود، بالإضافة إلى هذا بُذِلَت جهود كبيرة لإعاقة طريق اليهود عن شراء الأراضي؛ وذلك من خلال قيام السلطان عبد الحميد الثانى بشراء الأراضي العربية الفِلِسْطينية التي يضطرّ صاحبها لبيعها باسم "الخزانة الخاصة"، وقام اليهود الذين مُنِعوا من شراء الأراضي في فِلِسْطين بدعاية مُضادة للدولة العثمانيّة، وأسّسوا جمعية سِرّية في إسطنبول أطلقوا عليها "جمعية الانتقام"، وورد فى مذكرة صدَرت عن المُفوَّضية الإنجليزية أن حماية العائلات اليهودية الرُّوسية في فِلِسْطين وسوريا إنما تعود إلى إنجلترا؛ وبذلك اختُرقت المحاذير، وتعذّر تطبيق قرار حظْر الشراء نتيجة لتدخُّلات الدُّوَل الأوروبية وعلى رأسها إنجلترا.(٨١)

وفى الوقت الذي حاولت فيه الدَّوْلة العثمانيّة مَنْع اليهود من شراء الأراضي من ناحية، فقد بدأت من ناحية أُخرى بمَنْح عقود الملكية التي تمّ شراؤها بالطُّرُق الشرعية قبل ذلك؛ وذلك بناءً على قرار اتخذته عام ١٨٩٣م نتيجة لضغوط القُنْصليات الأجانب، فهناك من اليهود من لم يشترِ الأراضي والضياع فى منطقة فِلِسْطين لغرض سياسيّ فقط،

(٨١) بوستانجي، مصدر سابق، ص ٩٨-١٠٠.

وإنما كان رغبة منهم فى قضاء أيامهم الأخيرة فى التعبُّد، وسُمِحَ لكل صاحب حقّ بالحصول على عقود الملكية المشروعة بناءً على وثائق حصلوا عليها من القُنصليات، تنصّ على أنه لا علاقة لهم بالصهيونية؛ لئلا يتعرّض هؤلاء الأشخاص للظلم، لكن هذا القرار أوجب التصديق على الأراضي التي حصل عليها الصهاينة بطُرُق غير شرعية حتى ١٨٩٣م؛ لأن القنصليات لم تكتشف أيّ صهيونيّ فيمن تقدموا بالطلبات، ومَنحت الجميع الأوراق اللازمة.(٨٢)

على سبيل المثال كانوا يُحوّلون مُلكية الأراضي في فِلِسْطين المقيد منها في مستندات وغير المقيد برفع دعاوى أمام المحاكم تحت زَعْم بيعها بسعر أعلى، وكانت المباني تُقام رَغْمًا عن إرادة السلطان؛ لذلك اتُّخذ قرار في مجلس الشورى بوجوب حضور موظفي الدفتر الحقّاني في هذا النوع من الدعاوى فى المحاكم، وضرورة دقة التحرّي الشديد في هذا، وإنزال العقاب بأولئك الذين لا يُراعون القوانين، من خلال رسالة بعَث بها الصدر الأعظم يافري جواد عام ١٨٩٤م.(٨٣)

استخدم اليهود أنواع الحِيَل للاستقرار فى فِلِسْطين، واستخدموا أسماءً مُزيّفة باعتبارها وسيلة لشراء الأراضي، كما قدموا الرشاوي للموظفين المحليّين مُستخدمين في ذلك سطوة المال، وطلبوا العَوْن من اليهود الذين كانوا يقيمون في فلسطين من قبل، وقد وصل تقرير بهذا الخصوص في خطاب رسميّ أُرسِلَ بتاريخ ١٨٩٤م من ولاية سوريا إلى مديريات وزارة الداخلية، على النحو التالي:

"لم يتردّد اليهود الذين اشتروا الأراضي بسندات واليهود غير الروس فى استقدام المُهجّرين اليهود وتوطينهم، فرَغْم أنه قد

(٨٢) بوستانجي، مصدر سابق، ص ١٠٢-١٠٣.

(٨٣) BOA. DH. MKT, ١٩٦/٦٢

حُـدّدت مُدّة الزيارة والإقامة لليهود الزائرين في يافا، إلا أن بعض هؤلاء قد تخلّفوا هناك بطريقة الحِيَل وتقديم الرشاوي للموظفين المحليين، وفرّ بعضهم واستقرّ مع اليهود المُقيمين في منطقة عكّا التابعة لولاية بيروت، وتخطّت أعداد اليهود وفْق تصريح للقُنْصل الفرنسيّ في الشام أربعين ألفًا، وأنه سيصِل هذا العدد إلى الضِّعْف خلال أربع سنوات، ومما لاشك فيه أن زيادة أعداد اليهود بهذا الشكل مُضِرّ، وسوف تتزايد أعداد اليهود في القُدْس وبيروت، وسيتحوّل اليهود تدريجيًّا إلى الاستقرار في الأراضي التي اشتروها بأسماء مُزيّفة، أرجو اتخاذ اللازم فى هذا الخصوص".(٨٤)

وورد في وثيقة أخرى تقرير ينصُّ على قيام الجمعية الصهيونية بشراء مساحات واسعة من الأراضي الفِلِسْطينية بأسماء مُزيّفة، وإعطاء أموال لأصحابها تُعادل أضعاف ثمنها، وعن قيامها باستقدام أعداد ضَخْمة من السكان وتوطينهم هناك، وتقديم تسهيلات لهم في أعمالهم، وأن هذه الجمعية تقوم ببعض الأعمال، مثل إنشاء طريق مُرصَّفٌ بالحصى داخل منطقة طبَرية التابعة لعكّا، وتسيير سُفُن فى بحيرة طبَرية.

لقد حمل هذا التقرير بتوقيع خليل إبراهيم ادّعاءات جادة للغاية؛ فقد اشتُريت قبل شهر مساحة من الأراضي بلغت عشرين ألف دُونُم باسم سالومون ريناك، وهو من رعايا فرنسا، ويُقيم فى يافا مخالفًا للبيان الرسمي الصادر من رئيس مُقاطعة طبَرية وحاكم مقاطعة عكّا ومُوظّفي الدفتر الحقّانيّ، وقد ورد نبأ مفاده أن الشراء تمّ باسم مُزيف، وأن هذا الأمر له علاقة بهذه الجمعية، ١١ آذار/مارس ١٩٠٥م.(٨٥)

إن هجرة اليهود لفِلِسْطين وبيع الأراضي هو نتاج للضغوط السياسية التي مارسها الغرب على الإدراة العثمانيّة، وتأثير القوى الاقتصادية

(٨٤) BOA.Y. PRK. DH, ٧/٢٩

(٨٥) BOA. Y.PRK.AZJ ٥٠/٨٦

لليهـود، فقـد كان من الصعب جدًّا صدّ أشـخاص مثل هرتزل وروتشـيلد اللذيـن تمتّعا بقدرة هائلة فى مجال التمويل على وجه الخصوص، وحتى لو بُذِلَت الجهود لتحجيم أنشطتهم فلن تُكلَّل هذه الجهود بالنجاح.

وفى عام ١٨٩٦م عرَض هرتزل عن طريق نيولنسكي القيام بدعاية لصالح السلطان العثمانيّ في الإعلام الأوروبيّ، وأن تُسدّد الديون المُستحقّة لدُوَل أوربا من الدَّوْلة العثمانيّة مُقابل فتح الباب أمام الهجرة اليهودية، وأن يتولى إدارتها اليهود، فردّ عليه السلطان عبد الحميد الثاني قائلًا:

> "لا أستطيع أن أتخلى عن شبرٍ واحد من أرض فِلِسْطين؛ فهي ليسـت مُلْكي بل هي مُلْك الأمة الإسـلامية، لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، ونحن أيضًا سنرويها بدمائنا دون أن تنفصل أو تبتعد عنا".(٨٦)

ورَغْم عدم قبول السـلطان عبد الحميد الثاني ببيـع فِلِسْـطين للصهاينة مُقابـل سـداد ديون الدَّوْلـة العثمانيّـة، إلا أنه لم يكن هناك حـلٌّ يَقِف فى وجه النشـاطات الصهيونية المُكثفة في فِلِسْـطين، وفي عام ١٨٩٨م اتُّخذ قرار في المؤتمر الصهيونيّ الثاني في "باسـيل" بإنشـاء بنك في لندن، وبدأ نشاطه باسم "وَقْف المُستعَمَرة اليهودية"، وفي عام ١٩٠٣م قام هذا البنك الذي بلـغ رأس ماله ١٠٠٠٠٠ إسترليني بإنشاء شركة إنجليزية- فِلِسْطينية، وقامـت هـذه الشـركة بفتح فروع لهـا فى حيفـا ويافا والقُـدْس وهيبرون وبيـروت والصفَـد وطبَريـة وغـزة، وبـدأت تُولـي اهتمامها ببيـع وشـراء كل أنـواع الأراضـي للمسـتعمَرين اليهـود، وكان الأثرياء أمثال روتشـيلد قـد بـدؤوا بشـراء أراضٍ مـن أجـل اليهـود المهاجريـن، واسـتمرّوا على هـذا النهـج، وبذلك وجد الصهاينة -بعد أن فشـلوا فـي اقتطاع الأراضي

(٨٦) ميم كمال أوكه، **قضية فِلِسْطين من الصّهْيونية إلى صراع الحضارات**، مكتبة أُفُق، إسطنبول، ٢٠٠٢م، ص ٤١-٤٢.

من السلطان عبد الحميد الثاني مُباشرةً- طريقًا غير مُباشر للحصول عليها، واستمرّوا في شراء الأراضي.(٨٧)

وصل عدد المُستوطنات التي أقامها اليهود فى أواخر حكم السلطان عبد الحميد الثاني إلى ٣٣ مستوطنة أُقيمت على مساحة واسعة من الأراضي، فمثلًا وصلت مساحة الأراضي التي اشتراها *JCA* في عشر سنوات إلى ٧٥٠٠٠ دُونُمًا، وارتفعت مساحة الأراضي التي حصل عليها اليهود في فِلِسْطين بشكل فاقَ الأراضي المُقيدة هناك؛ لأن كل أراضي القرية كانت مُلكية عامة عدا تلك التي يملكها أفراد "الملكية الخاصة"، ومع الزمن آلت فى حكمها لسيد القرية، وصارت عملية شراء الأراضي التي يقوم بها الصهاينة عن طريق الشركة الفِلِسْطينية- الإنجليزية وبالًا على أهل القُرى الفِلِسْطينية، وفى الوقت الذي توجّه فيه سادة القُرُى لبيع أراضيهم الخاصة، آلت ملكية الأراضي العامة إلى يد اليهود؛ لأن أصحاب الأرض الجُدُد لم يسمحوا لأهل القُرُى الفِلِسْطينين أن يزرعوا في هذه الأراضي، وأعطوا الأولوية لليهود المُهاجرين.

وفيما يلي عرض للوحدات الاستيطانية التي أُقيمت في فِلِسْطين حتى عام ١٩٠٨م حسب التسلسل التاريخيّ لبنائها:

- "مَكْفيه إسرائيل" (١٨٧٠م) في الضفة الغربية.
- "تتاك تِكوا (*Tetak Tikva*)" في الضفة الغربية عام (١٨٧٨م)، وجددتها جمعية مُحبّي صهيون ما بين عامي ١٨٨٣-١٨٨٤م.
- "روش بينا (*Roş Pinah*)" في الجليل عام (١٨٨٢م).
- "ريشون ليتسيون (*Rişon le Siyon*)" في الضفة الغربية عام (١٨٨٢م).
- "زيخرون يعقوف" في الضفة الغربية عام (١٨٨٢م).

(٨٧) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ١٠٧.

- "يسُّود حماليه (*Yessad Hamaleh*)" في الجليل عام (١٨٨٣م).
- "مشمار هايردين (*Mismar Hayarden*)" في الجليل عام (١٨٨٤).

وتولت جمعية محبي صهيون إقامة المستوطنات الخمس الأخيرة.

- "عقرون (*Ekron*)" في الضفة الغربية عام (١٨٨٤م).
- "قاطوراه (*Katrah*)" في الضفة الغربية عام (١٨٨٤م).
- "بينا يهودا (*Bene Yehudah*)" في الأردن عام (١٨٨٦م).
- "باتح شلومو (*Bath Şolomo*)" في الضفة الغربية عام (١٨٨٩م).
- " رحوبوت (*Rehoboth*)" في الضفة الغربية عام (١٨٩٠م).
- "موزاح (*Mozah*)" في الضفة الغربية عام (١٨٩١م).
- "شفيا (*Şeveya*)" في الضفة الغربية عام (١٨١٩م).
- "جديراه (*Gederah*)" في الضفة الغربية عام (١٨١٩م).
- "عين الزيتون (*Ayn Zeytun*)" في الجليل عام (١٨١٩م).
- "كاستينيه (*Castinieh*)" في الضفة الغربية عام (١٨٩٥م).
- "أرطوف (*Artuf*)" في الضفة الغربية عام (١٨٩٦م).
- "مطولة (*Metula*)" في الجليل عام (١٨٩٦م).
- "نس سيوناه (*Nes Siyonah*)" في الضفة الغربية عام (١٨٩٧م).
- "محانيم (*Mehanim*)" في الجليل عام (١٨٩٩م).
- "سجرا (*Secera*)" في الجليل عام (١٨٩٩م).
- "جمَّا (*Cemma*)" في الجليل عام (١٩٠٢م).
- "مشا (*Meşa*)" في الجليل عام (١٩٠٢م).

- "محلاميه (*Mehlamiyeh*)" في الجليل عام (١٩٠٢م).
- "كفر سابا (*Kafir Seba*)" في الضفة الغربية عام (١٩٠٤م).
- "بديين (*Bedeen*)" في الجليل عام (١٩٠٥م).
- "شفزيباه (*Shfzibah*)" في الضفة الغربية عام (١٩٠٥م).
- "مراح (*Marah*)" في الضفة الغربية عام (١٩٠٧م).
- "بئر يعقوب (*Bi'r Yakob*)" في الضفة الغربية عام (١٩٠٧م).
- "عتليت (*Atlit*)" في الضفة الغربية عام (١٩٠٧م).
- "مِزباح (*Mizpah*)" في الجليل عام (١٩٠٨م).
- "كنيرت (*Kinnereth*)" في الجليل عام (١٩٠٨م).

كان السلطان عبد الحميد الثاني على عِلْم أن اليهود قد استقرّوا في فِلِسْطين من خلال مستوطنات أقاموها؛ لأن الإمبراطور الألمانيّ فيلهلم الثاني عندما قَدِمَ إلى فِلِسْطين عام ١٨٩٨م تجوّل بِرْفقة وزير الخارجية توفيق باشا في المستوطنات اليهودية في فِلِسْطين، فأخبره توفيق باشا "أن السلطان لا يؤيد الصهيونية أو قيام مملكة يهودية مستقلة"، وأخبر السلطان عبد الحميد الثاني طبيبه السيد عاطف حسين أثناء إقامته بسلانيك -بعد أن عُزل عن الخلافة- أن المستوطنات التي أُقيمت هي بداية لدولة صهيونية في المستقبل.(٨٨)

وكان كلما أُجري إحصاء للمستوطنات والأراضي التي تُباع ظهر جدول مغاير تمامًا، وعلى سبيل المثال عند دراسة خريطة الأراضي التي اشتراها الأجانب من أريحا في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٨٩٤م، ظهرت الحقيقة التالية:

(٨٨) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ١٥٠-١٥٥.

جدول مساحات الأراضي والحدائق وأصحابها الأجانب في أريحا			
الأسماء	الرقم	مقدار الدُونُمات	
		الدُونُم	المتر المربع
جورجي أفندي تبريدي	١	٢٠٧	٢٩٠,٥
أديرة الروم	٢	٥	٦٩٠
المطران أنتيموس	٣	٥	٠٣٧
راغب أفندي حسين	٤	١٦	٣٢٠
رئيس جمعية فِلِسْطين الروسية	٥	١٤	٠٤٥
عبد الفتاح أفندي داودي	٦	٨	٣٥٩
مصطفى مخلص أفندي حسيني	٧	١٦	١٢٣
الحاج رشيد عريكات	٨	٢	٥٢١
دير الروم	٩	٢	٧٢٣
جورجي أفندي تبريدي	١٠	٩	٦٤١
فندق وحديقة جورجي أفندي تبريدي	١١	٥	٧٩٢,٥
عائلة جاؤني	١٢	٢	٤٩٢
أبو الفِلات	١٣	٢	٣٤١
سيدة أفطوميا من رعايا روسيا	١٤	٤	٤٩٢
كنيسة درعون التابعة لدير الروم	١٥	١١	٠٨٣
محمود عريكات	١٦	٩	٥٣٣
دير الروم	١٧	١٥	٣٦٣
الدير اللاتيني	١٩	٤٢	٨٩٩
دير الروم	٢٠	٧	٢٧٠
عبد السلام أفندي	٢١	٢	٨٦٢
دير الروم	٢٢	٢٣	١٥٩
جمعية فِلِسْطين التابعة لروسيا	٢٣	١٤	٦٤٧
جمعية فِلِسْطين التابعة لروسيا	٢٤	٠٠	٥١٣
عَودي جارام للجمعية البروتستانتية	٢٥	٠٥	٢١٩
دير الروم	١٨	١٨	٨٩٩

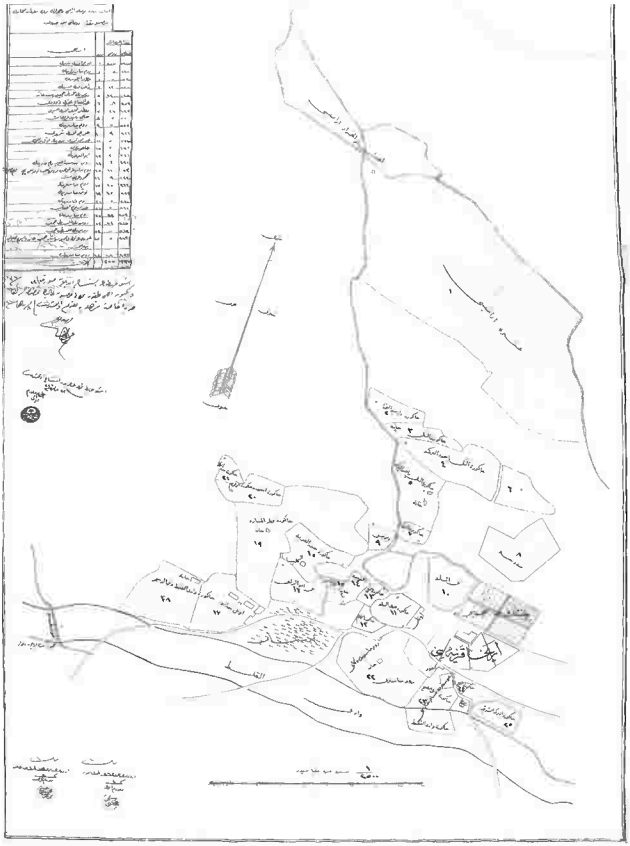

خريطة الأراضي التي بيعَت لغير المسلمين من قرية أريحا

(٢/٢٧ ,BOA. HH.THR)

قُدّمت نسخة من هذه الخريطة إلى "الخزينة السلطانية الخاصة".(٨٩)

اعتقد اليهود بأنّ لديهم فُرْصة ذهبية بعد الإعلان الدستوري واتساع مناخ الحُرّيات، فبدؤوا بالهجرة بشكل مُكثّف إلى فِلِسْطين، وواصلوا شراء الأراضي، لكن تصدّى لهم أعضاء جمعية الاتّحاد والترقّي، واتّخذوا قرارًا بحظر هجرة اليهود إلى فِلِسْطين مرّة أُخرى.

(٨٩) BOA. HH.THR, ٢٧/٢

تقدّمت جمعية الاتّحاد والترقّي في فِلِسْطين بطلب إلى الحُكومة من أجل وقف هجرة اليهود، بناءً على كتابات ضدّ الصهيونية في إسطنبول، وعلى رأسها للسيّد كاظم نامي، وقد طلب حسين حلمي باشا إعداد تقرير بهذا الشأن، وكان نتيجة ذلك أن قرّرت الحكومة العثمانيّة في ٢٠ حزيران/يونيو عام ١٩٠٩م حَظْر بيع الأراضي إلى الأجانب في فِلِسْطين، وشمل ذلك مُقاطعة القُدْس، بعد أن لفتت الأنظار إلى وجود ٥٠ ألف يهوديّ أجنبيّ في فِلِسْطين.

واستنادًا إلى قرار مجلس الشُورى الذي اتُّخذ من قِبَل طلعت بك وزير الداخليّة في ٢٨ أيلول/سبتمبر عام ١٩٠٩م بتنفيذ الحظر والتقييد السابقين أثناء حُكْم السلطان عبد الحميد الثاني -مُشيرًا إلى تلك المسألة بأنها عاجلة جدًّا- وبمنْع شراء اليهود الذين يحملون الهوية العثمانيّة للأراضي والأملاك في فِلِسْطين؛ اتّخذت جمعية الاتّحاد والترقّي هذه الإجراءات الصارمة عندما بدأ تأثيرُها يظهر في نظام الحُكْم، وهو ما أدّى إلى صَدْمة الصهاينة الذين كانوا يُعلّقون آمالًا في مسألة فِلِسْطين مع الإعلان الدستوري الثاني.(٩٠)

أثناء ذلك قام السُلطان العثمانيّ بتسجيل بعض الأراضي التي اشتراها بثمن معلوم باسمه، فعلى سبيل المثال قُدّم طلب بتاريخ ٤ نيسان/أبريل عام ١٩٠٩م من وزارة "الخزينة الخاصة" بإدراج أراضي "ماسفارا" في القُدْس ضمن الأملاك الخاصة بالسلطان مُقابل سعر معيّن، وجاء في هذا الطلب أنّ هذه الأرض اشتُريت بمعرفة حاكم القُدْس وتنفيذًا لإرادة السُلطان العثمانيّ.(٩١)

(٩٠) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ١٠٢-١١٦.

(٩١) BOA. Y. MTV, ٣١٣/١٦٢

في بداية الأمر كان الصهاينة قد علّقوا كثيرًا من الآمال على السُلطان عبد الحميد الثاني، حتى إنّ الوفد الذي كان يضُمّ عم "إيمانويل كاراسو (*Emanuel Karaso*)" أفندي النائب السلانيكي -صديق جمعية الاتّحاد والترقّي وعُضو الهيئة البرلمانية-، كان قد طلب من عبد الحميد أن يبيعهم أرضًا كبيرة في القُدْس من "خزينته الخاصة" -وتقع بين مزارع الإمبراطورية الواسعة- بأغلى من قيمتها الحقيقية مُقابل مقدار كبير من الذهب، لكنه أجابهم:

> "لن أُعطيكم ولو شبرًا واحدًا من الأراضي التي دخلت ضمن دولتنا العلية ودفع أجدادنا دماءهم ثمنًا لها، ولن أبيعها لكم ولو دفعتم ملء الأرض ذهبًا".(٩٢)

وكان قد رفض قبل ذلك عَرْض هرتزل بدفع ديون الدَّوْلة العثمانيّة مُقابل الأراضي التي يطلبونها في فِلِسْطين قائلًا:

> "لن أبيع ولو شبرًا واحدًا من الأرض؛ لأن هذا الوطن ليس مُلكي، إنّه ملك لأُمّتي، ولقد حصلتْ أُمّتي على هذا الوطن بدمائهم".

رَغْم مُعارضة السُلطان عبد الحميد الشديدة للطلبات التي قدّمها الصهاينة من أجل الحصول على الأراضي في فليسطين، ورَغْم إصداره عدّة قوانين تحظُر هجرة اليهود وبيع الأراضي، إلاّ أنّ أيادي الصهاينة الخفيّة كانت موجودة دائمًا وتتحرّك باستمرار، وبدأ بيع أراضي فِلِسْطين في عَهْد السُلطان عبد الحميد الثاني، واستمرّ في فترة جمعية الاتّحاد والترقّي، وهو ما كان حجَر الأساس في إنشاء دولة يهودية؛ وذلك لعدم القوة والوَعْي الكافي لدى الشعب والإداريّين المحليّين في مُقاومة ذلك.

(٩٢) جمال قونتاي، التاريخ يتحدّث، ج. ٧، العدد ٣٥، كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٦م، ص ٢٩١٣-٢٩١٤.

٣- أول مشروع لإقامة دولة يهودية في فِلِسْطين

كان اليهود الذين يُؤمنون بأنّ الله سيُرسل مَسيحًا يلمّ شَتات اليهود في القُـدْس، ينتظرون ذلك اليوم بفارغ الصبر، غير أنّ الحاخام "يهوذا ألكالي (*Judah Alkalai*)" البلغـرادي (١٧٨٩-١٨٧٨م) أطلـق فكـرة وَقْـف أداء اليهـود لكفارتهم، واقترح عودة اليهود إلى فِلِسْـطين على أيدي الإنسـان، وسـعى لنشـر فكرته من خلال قيامه بجولات في أوروبا، واسـتقرّ هو في فِلِسْطين أيضًا؛ لكي يضرب بنفسه مثلًا يُحتذى به.

لـم يكتـفِ البريطانـيّ "مُوسـى مونتيفيـوري (*Moses Montefiore*)" ذو الأصل اليهوديّ بإطلاق فكرة شراء القُدْس، وتجلّى اهتمامُه بفِلِسْطين منذ عام ١٨٣٥م، ورسـم خِطة لإقامة مُستوطنة خارج الأسوار التي تُحيط بالقُـدْس، حقّـق مونتيفيوري غايتَـه هذه مـع القرار الـذي حصل عليه من السُـلطان العثمانيّ عام ١٨٥٥م، وأقام مركزًا أُطْلق عليه حيّ "ميشـكينوت شاعانايم (*Mişkonet Şaananim*)" (مساكن الهدوء) ما بين عامي (١٨٥٧-١٨٦٠م) فـي الأراضـي التي حصل عليها غَرْب القُدْس عند سـفوح جبل "صهيون".

كان الطبيـب يهوذا "ليـو بينسـكر (*Leib Pinsker*)" (١٨٢١-١٨٩١م) -وهو من مدينة أوديسا بأوكرانيا- أحدَ الزُعماء المُؤثّرين في توجيه هجرة اليهود إلى صهيون، أي إلى فِلِسْـطين إبّان تعرّض اليهود للظُلم والعُدوان فـي روسـيا، كافـح بينسـكر سـابقًا من أجـل أن يحصـل اليهـود الروس علـى حُقوقهـم وحُريّتهـم، وكتـب كتابه "الإعتـاق الذّاتي" عـام ١٨٨٢م؛ بسـبب الظُلـم والقهـر لليهـود فـي روسـيا ابتـداء مـن عـام ١٨٨١م،

وأشار فيه إلى أنّ مُعارضة اليهود ومُعاداتهم ما هي إلاّ مرض نفسيّ لا علاج له في الشرْق والغرْب، ووضّح أن حلّ هذه المسألة هو في تأسيس دولة لليهود حتى يكونوا على قَدَم المُساواة مع باقي الدُّوَل الأُخرى، وعلاوة على ذلك صرّح بينسكر بأنّه يجب على اليهود أن يَحصلوا على اسْتقلالهم من خلال جُهودهم المُشتركة لا عن طريق مُبادرات الدُّوَل الأوروبية، تبنّى المُجتمع اليهوديّ هذه الأفكار وأنشأ جمعيات مُحبيّ صهيون (هوفيفه زيون/*Hoveve Zion*) في كثير من الأماكن، وتجاوز عدد جمعيات محبيّ صهيون المُنشأة في روسيا وأوروبا الشرقيّة الاثني عشر خلال عام تقريبًا، وازداد هذا العدد بسُرعة لاحقًا، ثم عقد بينسكر مُؤتمرًا في "كاتوفيتش (*Katoviç*)" في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٨٨٤م، وناقش فيه طُرُق مساعدة اليهود المستعمَرين في فِلِسْطين.(٩٣)

كان يهوذا ألكالي، وزوي هيرش كاليشر، وموسى هيس من الحاخامات الذين ساروا على دَرْب الصِّرْب والمَجَر والطُّلْيان، وطلبوا إقامة دولة لليهود في فِلِسْطين؛ وذلك من خلال كُتُبهم المنْشورة كـ"اقتراح يهوذا" لألكالي عام ١٨٤٨م، و"نظرة نحو الصهيونية" لكاليشر عام ١٨٦٢م، و" روما والقُدْس" لهيس عام ١٨٦٢م.(٩٤)

لكن أوّل من سعى لفكرة إنشاء دولة يهودية في فِلِسْطين وتنفيذها على أرض الواقع هو الحاخام "كاليشه (*Kalische*)"، فكان يُؤمن بضرورة توحيد زُعماء المُجتمع اليهوديّ في أوروبا؛ ليُؤسّسوا جمعية تسْعى إلى هيمنة اليهود في فِلِسْطين حتّى يتمكّنوا من التجمّع فيها تحت لواء واحد، وكان كاليشه قد طلب في عام ١٨٣٦م من عائلة روتستشيلد القيام بشراء القُدْس من محمد علي باشا والي مصر وفِلِسْطين، ثمّ عاوَدتْه نفس الفكرة

(٩٣) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ٢٩-٣٩.

(٩٤) بوستانجي، مصدر سابق، ص ٩١.

مُجدّدًا عندما التقى بموسى مونتيفيوري، فوافقت "مُنظّمة التحالُف العالميّ لبني إسرائيل" التي أُنشئت لمساعدة اليهود على إنشاء مدرسة زراعية ومنطقة سكنيّة باسم "أمل إسرائيل" (مكفيه إسرائيل) في يافا عام ١٨٧٠م.(٩٥)

كان رئيس وزراء بريطانيا ذو الأصل اليهوديّ "بينجامين دزرائيلي (*Benjamin D'İsraeli*)" من أصحاب فكرة إقامة دولة يهوديّة في فِلِسْطين، وأثناء تجوّل رئيس الوزراء دزرائيلي برُفقة صديقيه لورد ستانلي ولورد كورينجتون في الحديقة بـ"هاي ويومبي" عام ١٨٥١م، ذكر للورد ستانلي أنّ فِلِسْطين غَنيّة بالخيرات الطبيعيّة التي لا حدّ لها، وأنّها تحتاج إلى مُزارعين يعملون فيها مع توفير الحِماية لهم فقط، وأنّه ينتظر موضوع المُواطنة حتى يتمكّن اليهود من شِراء الأرض من الدَّوْلة العثمانيّة بأموال التبرّع من عائلة روتسشيلد والرأسماليين العِبْرانيين البارزين، وسوف تُوافق الدَّوْلة العثمانيّة التي باتت على شَفا الإفلاس على كلّ شيء كي توفّر دَخْلًا لها، وما ينبغي القيامُ به بعد ذلك هو إنشاء المُستعمَرات على هذه الأرض التي امتلكوها وتأمينها، واستطرد بأنّ هذه المواضيع تتردّد كثيرًا في الأحاديث اليوميّة للشعب اليهوديّ وأنّ المسيح الجديد الذي سيُحقّق هذا سيكون المُنقِذ الحقيقيّ للأُمّة، إلاّ أنّه لم تكُن هناك مُبادرة فوريّة لتنفيذ أفكار بينجامين دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا.(٩٦)

إنّ الأزَمات الاقتصادية والسياسيّة التي عاشتْها الدَّوْلة العثمانيّة منذ نهاية عام ١٨٧٠م، رسّخت عند اليهود الأوروبيّين وغيرهم من المُهتمّين بفِلِسْطين اعتقادًا بأنّه إذا توفرّت قُروض هائلة للدولة العثمانيّة فسوف تفتح أبواب فِلِسْطين أمام هجرة اليهود، حتى إنّه نُوقش هذا الموضوع في بريطانيا عام ١٨٧٨م في الجرائد والمجلّات؛ فقد اقترح رجل الأعمال

(٩٥) ميم كمال أوكه، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٩٦) بوستانجي، مصدر سابق، ص ٩٢.

"إدوارد جـزال (*Edward Cezal*)" -وهو ممـن يَعرفون المنْطقة عن كثَب في مقاله "قضية الشرق" عام ١٨٧٨م فكرة إنشاء دولة يهوديّة تحت حماية بريطانيّة آخذًا في الاعتبار مصالح دولته، وكذلك استغلّ "تشـارلز وارين (*Charles Warren*)" الناشط في موضوع فِلِسْطين فُرْصة المشاكل الماديّة التي تعيشُـها الدَّوْلة العثمانيّة، واقترح إنشاء شركة في فِلِسْطين تُشبه شركة الهند الشـرقية، وضمّ الأراضي المُقَدّسـة في فِلِسْـطين إليها، ومُقابل هذا تدفـع الشـركة مبلغًـا يُعادل دخل الدَّوْلـة العثمانيّة من فِلِسْـطين، وتتكفّلُ بدَفْع جُزْء من الفائدة للدائنين الأوربيّين، وفي نفس التوقيت نُوقشت هذه المسـألة في البرلمان المجَريّ، وقام نائـب في البرلمان بعَرْض فكرة فتح أبـواب فِلِسْـطين أمام هجرة اليهـود، وأن تتحوّل إلى ولايـة مُنفصلة تتْبع الدَّوْلـة العثمانيّـة أو دولة يهوديّة مسـتقلّة، وكل من كان فـي مؤتمر برلين يأملون أنّ هزيمة الدَّوْلة العثمانيّة في روسيا سوف تُيسّر لهم الأمر؛ لذلك سـعَوا لاتّخاذ قرار يَسـمح بهجرة اليهود إلى فِلِسْـطين، ولكنّ هذه الفكرة لم تُدْرج في جدول أعمال المُؤتمر بسبب عدم رغبة بعض الدُّوَل -وعلى رأْسها ألمانيا- في التدخُّل رسميًّا في هذه المسألة في تلك الفترة.(٩٧)

نوقشـت هـذه الأفكار فـي أنحاء مُختلفة مـن العالم، وبمُـرور الوقت اتّخذت هذه المسـألة مَنْحىً خطيرًا، وبدأت تتوالى الطلبات والالتماسات على الدَّوْلة العثمانيّة بطُرُق مختلفة.

أوّل مُبـادرة فـي اسـتيطان اليهـود لفِلِسْـطين تحقّقت هي التـي قدّمها "لورنس أوليفانت" إلى الدَّوْلة العثمانيّة عام ١٨٧٩م، وجاء فيها ما يلي:

> سوف يُنشأ مركز هجرة يهود الأناضول وروميليا في فِلِسْطين،
> وتُخصَّص الأراضي الواسـعة الخصْبة في فِلِسْـطين للزراعة، ويتمّ

(٩٧) ش. طوفان بوزبينار، **قضية الهجرة اليهودية إلى فِلِسْطين في عصر السلطان عبد الحميد الثاني** (١٨٧٨-١٩٠٨م)، موسوعة الأتراك، ج ١٣، ص ٧٨-٨٥.

توسيع مجالات الزراعة وإضفاء روح التحضّر على القبائل البدويّة في تلك الأنحاء، وتوفير الأمن والأمان بها، وإحياء الصناعات المحليّة بواسطة اليهود الذين يُريدون العودة إلى فِلِسْطين بأدوات وأساليب الزراعة الحديثة التي سيحصولون عليها عن طريق الشُعوب المسيحيّة، بالإضاقة إلى الأموال التي تُدفع على الفور مُقابل الأراضي التي سوف يَستوطنُها المُهاجرون، ويُستفاد أيضًا من ضرائب بعض الولايات لدعْم الشركة التي سوف تُؤسّس لإدارة مُجتمع المُهاجرين بشكل مُستمرّ، ويخضع هذا العمل للتجربة بعد مُوافقة السُلطان والدُوَل الأوروبيّة بواسطة رؤوس الأموال الأجنبيّة، وبعد نجاح تلك التجربة من المُمكن القيام بإصلاحات مماثلة في الولايات الأُخرى.

تُمنح السُلطة اللّازمة لصاحب الامتياز من أجل إنشاء شركة لإعمار المنطقة بعد استيطان المُهاجرين اليهود في فِلِسْطين، ويُطلق عليها الشركة العثمانيّة لإسكان المُهاجرين، وتكون تحت حماية السُلطان وإشراف الحُكومة، وتُعيّن الحُكومة مُديرًا ومُساعد مُدير يُراعيان تنفيذ القوانين وأحكام اللّوائح طبقًا للشروط الأساسيّة لهذا الامتياز، كما ستقوم الحُكومة بتشكيل هيئة إداريّة مُنفصلة ترتبط مُباشرة بولاية سُوريّا لئلا يَلْحق الهيئة الإداريّة في ولاية بيروت مكروه.

ويكون مقرّ الشركة في إسطنبول، ولها الصلاحيّة في فتح فَرْع أو أكثر في مقرّ الحُكومة إذا رأته مُناسبًا، ويُخصّص لها في المُستقبل أرض بين وادي إيرون وحربولحاج؛ من أجل الامتياز الذي منحتْه الحُكومة للشركة، وتتعَهْد الحُكومة ببيعها إلى الشركة مُقابل مبلغ يُدفع على أقساط طبقًا لشروط معينة، لكن لا تُمنح مدينة "سالت" ولا الأراضي المُلحقة بها للشركة، وتكون مساحة الأرض التي تبيعُها الحُكومة للشركة في سَنْجق بيروت أربعة ملايين وثلاثمائة وستة آلاف دُونم، وفي ظرف ثلاثة سنوات

من التاريخ الذي يصدر فيه قرار الامتياز للشركة يُقام خطّ سكة حديد يمتدُّ من حيفا إلى طبَرية، ومن هناك إلى بحيرة "لوه" مارًّا بوادي إيرون، وكل الأراضي الخالية أو التي لا زراعة فيها أو التي تعود إلى الحكومة وخزينة الدَّوْلة تُباع للشركة بنفس السعر الذي سبَق أن بيعت به أراضي القُرى على الطُّرُقات التي سيمُرّ بها خط السكة الحديد، ويتمّ التنازل عن قِطْعة أرض بمساحة كيلومتر من طرفي هذا الطريق من أراضي خزينة الدَّوْلة مجّانًا.

تتعَهْد الحُكومة بأن لا تتنازل عن أيّ قِطْعة أرض في فِلِسْطين لأيّ شركة أُخرى، وبأن لا تُعطي أعمال العُمْران لأيّ شركة أُخرى قبل أن تعرض ذلك أولًا على شركة إسكان المُهاجرين، وبأن تضع الحكومةُ الشركةَ في مُقدمة اهتماماتها لزيادة الأملاك والعقارات في السَّنْجق الجديد، وتسمح لهذه الشركة بإنشاء صندوق تمويل للزراعة في السنجق الآنِف الذِّكْر، ويكون في مَقرّ الهجرة مركز الشركة وصندوق التمويل الزراعي، وتستطيع أن تفتح فروعًا أُخرى في كل مكان من فِلِسْطين، وسيتمّ اختيار مُدير وأمين ومُشرفين على أملاك هذا الصندوق من قِبَل المُهاجرين، وتُصدّق الحُكومة على من تمّ اختيارُهم، ويكون هُناك مُمثّل للشركة في مَقرّ سنجق بيروت؛ ليقوم بالتواصل مع الحاكم القانونيّ، ويُعتبر المُهاجرون من رعايا الدَّوْلة العثمانيّة مهما كانت جنسيتهُم، ويخضعون للمحكمة المُعيّنة بالقوانين والاتفاقيّات السارية، ولن يُواجهوا تمييزًا في الدعاوي القضائيّة.

تمتلك الشركة حقّ التصرّف دائمًا في الأراضي التي اشترتها، كما تستطيع بيع أو مُبادلة الأراضي التي اشترتها بسندات مشروعة، ويختصّ مركز "قلم ليفه" بتسجيل ومبادلة السندات، وأيضًا تستطيع الشركة إقْصاء المُهاجرين عن هذا المكان، وإبعاد كل من يُخالف اللوائح الموضوعة بعد تفتيشه؛ وذاك بعد أن يدفع التأمين المُتفق عليه، ويتمّ استرضاء الشعب في تلك الأنحاء بعد

تسليم الأرض للشركة ليتقبّل إدارة الشركة ومُوظّفيها، ويُشارك هذا الشعب في التعَهدات والامتيازات الممنوحة والوظائف المُعطاة للمُهاجرين، وتتعَهد الشركة بدفع أموال وفْقًا لنِسبة الدَخْل الذي تحصل عليه لمُدة اثني عشرة سنة؛ وذلك مُقابل الضرائب التي كانت تحصُل عليها الحُكومة من الأراضي التي باعَتْها للشركة.

تُعدّ الحُكومة سِجلًّا للأرض المُخصّصة لجمعية المُهاجرين، وتُحدّد ضريبة مُمتلكات على هذه الأراضي لا تتجاوز قيمة العُشْر، ويحصل المُهاجرون على عفْو من أداء الخِدمة العسكريّة لمُدة سنتين، وتتّخذُ الشركة قرارات إصلاح الأراضي التي تُسكّنُها جمعية المُهاجرين بإشراف مُهندس من قبل الحُكومة، وتُقدّم الشركة سجلّات مُدير الشركة ومُساعديه إلى الحُكومة لمعرفة الأعمال التي أُنجزت، ويتعَهّد السُلطان بالعِناية بالأوضاع الضرورية في المستقبل، ويمكن للمُهاجرين أن يختاروا قوّة منهم من المُشاة والفُرسان لضمان أمْن جمعيّتهم ونظامها، ويقوم من يعرفون اللّغتَين الإنجليزية والفرنسية بالاتصالات بين الشركة ومُوظّفي الدَّوْلة، وتشكّل الشركة خلال سنة ابتداء من تاريخ إصدار قرار الامتياز، ويُصدّق عليه، ثم تبدأُ عملها في فِلِسْطين، وإذا حدث خلاف بين الحُكومة والشركة تُشكّل لجنة من الطرفين لبحث المُشكلة، ويكون قرارها هو الفاصل.

نُوقش طلب مسيو أوليفانت من إسكان المُهاجرين اليهود في سَنْجق "بلقاء (*Belka*)" في مجلس الوكلاء، وأُجيب على طلَبه بعدم قبول طلب الامتياز الذي يتضمّن بيع أراضي بمساحة ألف دونم إلى هذه الشركة، وذلك بسبب بعض المحاذير والصُعوبات.(٩٨)

مُبادرة أوليفانت في استيطان اليهود في فِلِسْطين هي أولًا لخدمة المصالح البريطانيّة، ومن أجل إنقاذ اليهود من مِحَن وظُروف صعبة

(٩٨) BOA. Y.a. Res, ٥/٥٨

في أوروبا، هذه المبادرة لفَتتِ انتباه الدَّوْلة العثمانيّة إلى أنّ التوازُن السُكّانيّ في هذه المنطقة سيتغيّر لصالح اليهود، وخلّفت اعتقادًا سلبيًّا على السُلطة والإدارة في المنطقة؛ لأنّه رَغْم أنّ الأغلبيّة العُظمى من سُكّان المُسلمين إلاّ أن هناك توازُنًا دقيقًا بين الطوائف الدينيّة، إضافة إلى أنّ النشاطات التبشيريّة ازدادت بمُرور الوقت من بداية القرْن التاسع عشر، وأُنشئت كنائس ومدارس دينيّة وجمعيات في المنطقة تحت إدارة روسية وبريطانية وفرنسية وألمانيّة وإيطاليّة مُشتركة، أدرك السُلطان عبد الحميد الثاني أنّ الإخلال بالتوازن بين الطوائف سيكون له تأثير سلبيّ على إدارة الدَّوْلة العثمانيّة ووضع القُدْس؛ لذلك كان موقفُهُ شديدًا تجاه استيطان اليهود في فِلِسْطين، وفي هذا السياق أُجيب أوليفانت بأنّ اليهود القادمين من الخارج لن يستوطنوا في فِلِسْطين أبدًا، ولكن يُمكنهم الإقامة في منطقة بلاد الرافدين أو الأناضول أو رُومْأَلِي.(٩٩)

مسيو "نيولينسكي (*Newlinski*)" الصحفي كان أيضًا من أهمّ الشخصيّات التي سعت لتخصيص مكان لليهود في فِلِسْطين، ولأجل ذلك قَدّم طلبه للسُلطان العثمانيّ على هذا النحو:

> "لقد قُدّم أكثر من عَرْض لفخامَة السُلطان باسم اليهود، ولا أعلم ما إذا كان عزّت بك قد أوصَل طلبي إلى السُلطان المعظّم أم لا؟! إلاّ أنّ التطورات السياسيّة التي شهِدهَا العالم جعلت الوقت مُناسبًا أكثر لقَبول العُروض التي قدّمْتُها، ولا يُمكن إصلاح الحالة الماليّة في الدَّوْلة العثمانيّة دون مُساعدة المُستثمرين الكبار، وهؤلاء المُستثمرون لا يُريدون سِوى تخصيص جُزْء من الأراضي الفِلِسْطينية تحت إشراف العثمانيّين، وكان جناب السُلطان سليم سمَح في خلافته بمجيء اليهود من البلاد الغربيّة إلى الدَّوْلة العثمانيّة، لو تكرّم سُلطانُنا بتلبية رغبة اليهود هذه المرّة فلن يجد

(٩٩) بوستانجي، مصدر سابق، ص ٩٢-٩٣.

أيّ ضـرَر مـن جـراء ذلك؛ لأنّ اليهـود لا يعملون بالسياسـة أبدًا، ومن ناحية أُخرى إذا لم تُلبِّ الحُكومة العثمانيّة هذا الطلب فسوف يصل اليهود إلى مقاصدهم بوسـيلة أُخرى، والمعروف عن اليهود أنّهـم أذكياء وأصحـاب ثـروات ويُمكنُهم القيام بأعمـال إعلامية إذا لـزِم الأمـر، ومـع أنّ البريطانيّيـن الذيـن لديهـم أمـلاك فـي الأناضـول بإمكانهم أن يُقدّموا هـذا العرض لليهود، ولكن اليهود يُفضّلون في هذه المسألة أن يكونوا تحت حماية السُلطان العثمانيّ ورعايته مُباشـرة، وفي حالة قبُول الدَّوْلـة العثمانيّة عروض اليهود فسوف يحصُلون على المُساعدات الماليّة من كبار المُستثمرين في العالم، وكذلك الدَّعْم المعنويّ من أكبر جرائد اليهود في أوروبا، هذه مسألة لا يُمكن تَجاهُلها في هذا الوَضْـع وفي هذا الوقت.

(فيينا، ٤ نيسان/أبريل ١٨٨١م) نيولينسكي".[١٠٠]

(١٠٠) BOA. Y PRK. TKM, ٣٨/٥١

(أ)

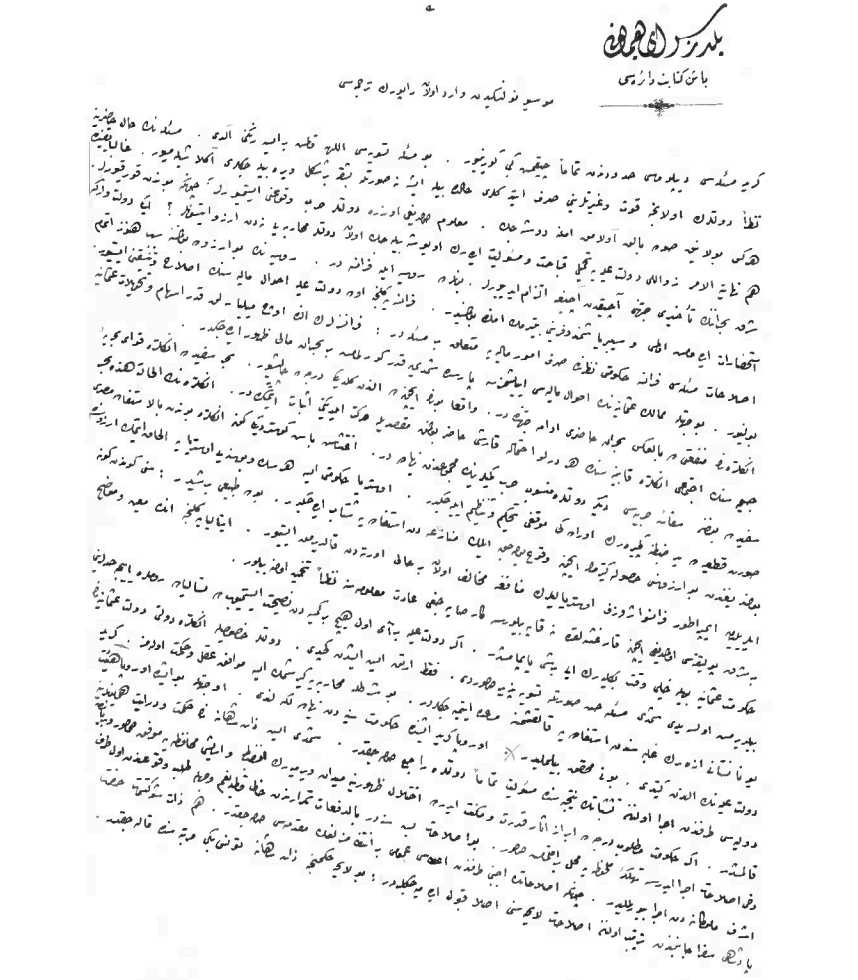

كان هذا هو طلب الصحفي مسيو نيولينسكي للسُلطان العثمانيّ من أجل تخصيص أراض لليهود في فِلِسْطين

وثيقة نيولينسكي

٤- هرتزل والأنشطة الصهيونية

إنّ فكـرة الصهيونية التـي ظهرت على يد هرتزل شـهدت تطوّرًا كبيرًا علـى مـدار القرن التاسـع عشـر الميـلادي، وتهـدُف إلى توطيـن اليهود فـي فِلِسْـطين، وإنشـاء دولـة يهوديّـة مُسـتقلّة، والنُّهـوض بها عـن طريق المُنظمـات اليهوديّـة، ولم يَكُن لهرتزل السَّـبْق في هذه الفكرة، بل سـبقَهُ إليهـا "كالتشـر" و"هـس (*Hess*)" و"ألـكالاي"، وكذلـك "بـاروخ متراني (*Baruh Mitrani*)" -وكان يُدافـع عـن فكرة توطيـن اليهود في الأراضي المُقَدّسـة وإحياء اللّغُة العبريّة لتُصبح لُغة مُسـتخدمة- كان ينتمي إلى هذا التيّار؛ وقد اقترح هرتزل تأسيس مُنظّمتيْن إلى حين إقامة الدَّوْلة اليهوديّة، أولهـا الجمعية اليهوديّة التي تتولّى القيام بالعمل السياسـيّ، وفَتْح قنوات الاتصـال مـع الـدُّوَل الأوروبيّة، وخَـوْض المعارك الدُبلوماسـيّة، وتكون بمنزلـة حُكومـة مُمثّلة من قبل اليهود، وثانيها شـركة تجاريّة تتولّى تهجير اليهود إلى فِلِسْطين وتوطينهم بها.[١٠١]

كان هرتـزل يُؤمـن بأنّـه من الضـروريّ اتّخـاذ تدابير وقواعـد جديدة فـي السياسـة الدُّوَليّـة وسياسـة الشـرق الأوسـط؛ لإقامـة دولـة يهوديّـة في فِلِسْطين، وكان يعتقدُ بأنّ أهم عُنصر في العلاقات الدُّوَليّة هو القوّة.

وقبـل المُسـاومات والمُفاوضات الدُبلوماسـيّة مـع الدَّوْلـة العثمانيّة والـدُّوَل الأوروبيّة شـعر هرتـزل أنّهُ بحاجة إلـى بنية تُوفّـر الدَّعْم الماديّ والمعنويّ، حتى يتمكّن من تنفيذ سياسـته الصهيونية، ففكّر بإنشاء جمعيّة تضُـمّ أثريـاء اليهود وزُعماء الجماعات اليهوديّة، ولمّا لم يسـتطع هرتزل

(١٠١) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ٥٠-٥١.

أن ينال مُرادَه من مُقابلة البارون هرتش في بداية الأمر، ذهب لمُقابلة البارون "أدموند دي روتشيلد" إلاّ أنّ هذا اللّقاء الّذي تمّ فى ١٨ تموز/يوليو ١٨٩٦م لم يُسْفِر عن شيء أيضًا، واستمرّ هرتزل في لقاءاته مع أثرياء اليهود.

حضر هرتزل إلى إسطنبول في حزيران/يونيو عام ١٨٩٦م لجسّ نبض السُلطان عبد الحميد الثاني، وعَرض عليه مُقترحات، مثل حمَلات دِعائيّة في الصحافة الأوروبيّة لتحسين صورة السُلطان العثمانيّ، وتسوية دُيون الدَّوْلة العثمانيّة المُستحقّة لدَى الدُّوَل الأوروبية مُقابل فتح باب الهجرة اليهوديّة إلى فِلِسْطين، وتمليكِها لهم تحت حُكم يهودي ذاتيّ، ولكن هرتزل لم يستطع مُقابلة السُلطان عبد الحميد، وعَهِد إلى نيولنسكي بتقديم مُقترحاتِه إلى السُلطان، لكن السُلطان عبد الحميد الثاني رفض مُقترحات هرتزل خلال لقائه مع "نيولنسكي" قائلًا:

> "إذا كان السيّد هرتزل صديقك كما أنت صديقي فانصَحْهُ بألاّ يخطو خُطوة أُخرى في هذا الموضوع، فأنا لا أقدرُ أن أبيع ولو شبرًا واحدًا من الأرض؛ لأنّها ليست مُلكًا لي بل هي لأُمّتي، لقد دافع شعبي عن هذا الوطن، وافتداهُ وخضّبه بدمائه، ونحن على استعداد بأن نُدافع عنْهُ مرّةً أُخرى بدمائنا دون أن يقتطع منّا أو ينفصل عنّا.
>
> لقد استُشهد رجالي من أفراد كتائب سوريّة وفِلِسْطين واحدًا تلو الآخر في "بلونه (*Plevne*)"، وصمَدوا في ساحة القتال، ولم يتراجعوا قيْد أنْمُلة، إنّ الدولة العثمانية ليست مُلكًا لي، وإنّما هي مُلك للأمة، لا أستطيعُ أبدًا أن أُفرّط في أيّ جُزء منْها، لِيحتفظ اليهود بملاييْنهم، وإذا مُزّقت الدَّوْلة العثمانيّة فقدْ يحصل اليهود على فِلِسْطين بدون مُقابل، إلّا أنّها لنْ تُقسَّم إلا على جُثَتنا، وإنّني لنْ أوافق على بَتْر جزء من جسدٍ حيّ".(١٠٢)

(١٠٢) ميم كمال أوكه، ص ٤١-٤٣. علي أرسلان، مصدر سابق، ص ١٠٧.

عاد هرتزل إلى فيينا، وهو يجرُّ أذيال الخَيْبة بسبب رَفْض السلطان لمُقترحاته، ولمَّا لمْ يستطع هرتزل أنْ يُحرز نجاحًا في اتصالاته مع الدَّوْلة العثمانيّة أو مع أثرياء اليهود فكَّر في استمالة عوامّ اليهود نحوه، واستخدام الكُتَل الجماهيرية والشعبية وَرَقة ضَغْطٍ من أجل إقناع أثرياء اليهود بمساندة الصهيونية.

رَغْم أنَّ هرتزل كان يتمتَّع بثقافة عصرية وأفكار علْمانية، إلّا أنَّ تعرّفه على بذاءة معاداة السامية، والعداء والاضطهاد الذي عايشه هو بنفسه تجاه اليهود خلال سنوات عمله مراسلًا لصحيفة ألمانية في باريس، كل ذلك دفعه إلى بذل جهود مُضْنية من أجل إنشاء دولة يهودية.

وبفضل هذه الجهود نجح هرتزل في تنظيم أول مُؤتمر للصهيونية العالمية في ٢٩-٣١ آب/أغسطس عام ١٨٩٧م في مدينة بازل السويسرية، وقدْ شارك في هذا المؤتمر أكثر من ٢٠٠ مندوب من مختلف الأطياف والتيارات، واجتمع أصحاب التوجُّهات والرُّؤَى المختلفة من مُتدينين وإصلاحيين ومُؤيدين لسياسة الاندماج في المجتمع تحت سَقْف واحد وراية واحدة، وانتهى المؤتمر بوضع خطّة عمَل للمنظمة الصهيونية تتمثل في القرارات الآتية، وهي باختصار:

١- إنشاء مزارع يهودية في فِلِسْطين، وتوطين العمال الزراعيّين والصُّناع والحِرْفيّين في هذه المزارع لتحقيق الأهداف المنشودة.

٢- تأمين مستوطنات لليهود في أماكن مناسبة، وتنظيمهم وتوزيعهم طبقًا لقوانين البلاد.

٣- تعزيز الشعور بالقومية اليهودية وإيقاظ الوعي اليهودي وتقويته.

٤- اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة الحكومة على هذه الأعمال والأهداف.[١٠٣]

(١٠٣) عُمَر توران، **الشرق الأوسط نقطة صراع الحضارات**، نشر يني شفق، ص ١٤٧-١٥٠

وأُقـرَّ في هذا المؤتمر تأسـيس "المنظمة الصهيونيـة العالمية"، واختير هرتزل رئيسًا لها.

نجـح هرتـزل في عَقْـد المؤتمر الثانـي للمنظمة الصهيونيـة في مدينة بال في ٢٨ آب/أغسـطس عام ١٨٩٨م من خلال حماسـة المؤتمر الأول، وحضر ما يربو عن ٦٠٠ شخص، وعبَّر هرتزل في خطابه عن استنكاره لما أبـداه بعض الحَاخامات من اعتراضات على الحركة الصهيونية، وضرورة وجود حلّ لهذا الأمر، فقال:

"إنَّ الأقوام والشـعوب التي تؤمن بالتوراة الشـريفة مُضطرون للتصديق على الحقوق اليهودية، وسـتحظى الأراضي الفِلِسْـطينية فـي وقـت قريب بمكانـةٍ تجاريةٍ وحضاريـةٍ كبيرة في قارة آسـيا، وستُشـكل هذه المنطقة برامج استراتيجية للسنوات العشر القادمة فـي قـارة آسـيا، وكما تعلمـون فـإنَّ كل دولـة تُتابـع بعِنايـة فائقة مسـاعي الـدُّوَل الأخـرى وتحرّكاتها، وتضعها في عيـن الاعتبار، وإذا خـرج أحـد الحُـكّام لزيـارة الأراضـي المُقَدسـة فـإنَّ أهالي كل البـلاد يُولـون أهميـة كبيـرة لهذا الحـدَث، لقد أثبتـت الدَّوْلة العثمانيّة في الحرب الأخيرة أنَّها لا تُقهر ولا تُهدم، إنَّ انضمام قوم مُجدّين في العمل ومسالمين ودعاة سلام سيُقوّي الدَّوْلة العثمانيّة، ويزيد من ثرواتها، فإذا انضمَّ الشعب اليهودي إلى الدَّوْلة العثمانيّة فإنَّه سيزيد من قُوّتِها ويُضاعف من ثرَواتِها؛ فالدَّوْلة العثمانيّة تعرف مَنْ هم الأصدقاء المخلصون، وأشكال وطرق العمل".

وذكـر هرتـزل أنَّهم لا يـودّون الهجـرة إلى فِلِسْـطين مُتسـلّلين بطُرُق غير شـرعية، وأنَّهم سـيطبّقون مبـدأ -هات وخُذ- تجاه الدَّوْلـة العثمانيّة، ثم تمَّت الموافقة على البرنامج الذي وضعه هرتزل.

أمَّا الرئيس الثاني للمؤتمر فقد ذكر ما يلي:

"للمرة الأولى بعد ثورة "باركوخبا (*Barkoça*)" يتّحد الشعب اليهوديّ، إلا أنَّ الذين هم يهود بالاسم فقط، والذين لا يُمكن اعتبارهم من الشعب اليهوديّ يُغذّون روح العداء ضِدّنا، إنَّ بعض الحَاخامات يغضُّون الطَّرْف عن حلم الدَّوْلة اليهودية في الكتب الدينية، وقدْ حدث هذا أيضًا في عَهْد النبي موسى عليه السلام الذي حرَّر أجدادنا من نِيْر العبودية في مصر، إنَّ معارضينا يُشكّلون أقلّية كما كانوا في عصر عزير ونحميا، ومن المُؤكد أنَّ مخالفينا سيتمُّ التخلص منهم، إنَّ الحديث عن وجود فِرْقة صهيونية في اليهودية أمرٌ لا قيمة له؛ لأنَّ الصهيونية تعني اليهودية، إنَّ شعب بني إسرائيل يُساندنا ويقِف إلى جوارنا، أمَّا معارضونا فهم كُسالى وعديمو النفع وعَالَةٌ على الشعب اليهوديّ".(١٠٤)

أنهى هرتزل هذا المؤتمر بسعادةٍ بالغة، وعمل على تسريع وتيرة هذه الأنشطة والأعمال، وأرسل هرتزل خطابًا إلى السلطان عبد الحميد الثاني بواسطة مُستشار الخارجية "أرتين باشا (*Artin Paşa*)" بتاريخ ٣٠ نيسان/أبريل ١٨٩٩م لتحقيق هذه الغاية، وقد ذكر في هذا الخطاب مايلي:

"أرجو أن تسمحوا لي بتقديم طلب لدى حضرتكم، وأن أُذكّركم بذِكْرى المرحوم السيد دونوليسكي، إنَّ السيد دونوليسكي كان مُخلصًا للدولة العثمانيّة ومُقرَّبًا من جلالة السلطان، وكان يعمل بمشاعر فيّاضة تنبُع من إخلاصه الكبير للصهيونية التي أمثلها منذ فترة.

إنَّ الصهيونية تهدف إلى إيجاد ملجأ شرعيّ وآمن ودائم لإخواننا البُؤَساء الذين يتعرَّضون للظلم والاضطهاد في البلاد المختلفة، وإذا سمَحتم فإنَّنا نتمنى أنْ يكون هذا الملجأ والملاذ

(١٠٤) Y. PRK. TKM, ٤١/ ٥

في فِلِسْطين، إنَّ المهاجرين اليهود سيكونون من عبيد السلطان المُخلصين، وحتى هذا الوقت فإنَّه لم يرَ من رعاياه اليهود أيّ سلوك سوى الخضوع والانصياع، وسيقومون بدفع الضرائب عن طريق المُؤسسات الجديدة التي ستُقام في البلاد، وسيعملون على زيادة مصادر الثروة في كلِّ الولايات العثمانيّة بثرائهم ورفاهيتهم، سنُقرض الدَّوْلة العثمانيّة ملايين من الفرنكات بالشروط التي نتفقّ عليها في المُستقبل، وفي مُقابل هذه الخدْمات والتضحيات فإنَّ الشيء الوحيد الذي نطلبه هو جمع شَتات إخواننا البُؤَساء المُضطهدين، وأنْ يشعروا بالأمن والأمان إلى الأبد في إطارٍ من التوافق والتعايش يسمح لهم بالعمل بالطُّرُقِ المشروعة، تمَّت مُناقشة هذه الأفكار ومسألة ارتباطنا بالسلطنة العثمانيّة في مؤتمر الصهيونية الذي عقد بمدينة "بال (*Ball*)"، وتمَّت الموافقة عليها.

وفي حالة الموافقة على طلباتنا فإنَّ المساعدات المالية التي سنُقدّمها لحكومتكم لنْ تقتصر على القروض والضرائب والرسوم، لكنَّها ستمتدّ لإصلاح الوضع الماليّ والاقتصاديّ للدولة العَليّة بشكل كبير.

يجب عليكم أنْ تتخلصوا من إدارة الديون العمومية، وتبدؤوا مرّة أخرى في الاستفادة من مصادر الثروة في بلادكم، وحتى ينجح هذا الأمر فلا بدَّ من العمل بسرّية وشجاعة، وفي جوّ من الهدوء والثقة والأمن؛ لأنَّ أعداءكم لن يكونوا راضين عن استرداد الدَّوْلة العثمانيّة لمكانتها واستقلالها الماديّ.

حتى هذه اللحظة فإنَّ من يُقدّمون المُساعدات المالية للدَّوْلة العثمانيّة يحصلون منكم على فوائد كبيرة جدًّا، ويجعلونكم عُرْضة للتدخُّل والوصاية الأجنبية، وبعد أنْ يجعلوا بلدكم أكثر فقرًا واحتياجًا من قبل فإنَّهم يتركون البلاد، ولكنَّ الوضع معنا مختلف تمامًا، إنَّكم ستحصلون على مُساعداتنا المادية

بشروط مُناسبة ومُيسرة، فرغبتنا أنْ تتخلصوا من الإشراف والوصاية الأجنبية عليكم، ولنْ نترككم ولنْ نتخلّى عن دَعْمكم، فنحن نُريد أنْ يرتبط مُستقبلنا بمُستقبلكم.

لقد أُنشئ بنك المستعمَرات العثمانيّة في لندن من أجل تنفيذ هذه المبادرات المالية المذكورة، وستقوم هذه البنوك بدور الوسيط، لقد اتُّخذت الإجراءات الضرورية من أجل البنوك التي سيتمُّ إنشاؤها في المستقبل.

وإذا لم تتوفّر إمكانية للاتفاق أو لم يتضح ما هو ضروريّ وغير ضروريّ لإجراء الشروط المذكورة في بلد آخر وتنفيذها، فإنَّنا لن نتقدّم أكثر إلى الأمام، وفي حال لاقت مُقترحاتنا قبولًا لديكم فإنَّني سأحضر بنفسي.

تيودور هرتزل

فيينا- ٣٠ نيسان/أبريل ١٨٩٩م.[١٠٥]

(١٠٥) BOA. Y. MTV, ٢٨٥/١٦٢

حادثه مستشاری اتحاد یا قرارلدیه
روضه تودور تعریف طرفه‌ده وارد اولوده تحریرلمك ترجیح

سوق سیاسیه روسیه‌لیلرك خاطره‌سی یاد ایتمك سره مناسبت ایتمكله برساله یازمغه باشلامشدم
اصحاب عدالت حضرتلرینك وجیزه‌لرینی وجیزه‌لرینك دولت علیه‌ده ایدیكی برنجه نیزه عاجزانه وكافیانه
سویلمسی ایچون بو خصوصاده صدر اعظم‌لرینه تكلیف ایتمكله بالكمال عجزه تروی ایتسه ایدی سویلمسم
محال اولمغله تصمیم ایدیلدی حادثه تودر مسكوده واقع وسیاسیه ومشروح برصورتی وجوده كتوریلمك مقتضیه
خادمده موافقت ایتمه‌لك استحصالی ممكن اولور ایسه صورتی مكرر كوریلمك مقتضیه وجوده كلمسی ارزو ایچون بورده
ریاضلری بولنان وكیله تبلیغ اوسون دیه‌رك وقت صحت عودتنه قدر بر وقت صحت عودتنه قدر بر فصل وحركیه كوریلمسه اولدیغی زمانه
سوكتسمات حضرتلرینك تعجیل ایتمه‌لك صادر اولدیغی حالده مملكتده تشكیل ایدیلمكده اولان موسسات جدیده
مدققیه سوم وتكالیف تادیه ایدیلمكده وكذلك رفاه وسعادتلرینه براز بو ولایت معلوماتلرینك وكافه
محال محروسه‌لرك دخی مناسب ترقی ایده‌جكلری برده كلمغه مقدمه ایدوده فقره ایده‌جك
سزاوار تحقیق اولدیغی وجهله معلوم اولمغله استقضاسنه امر ایلیه‌جك بو خدمتك دنیاكا لعقده مقابل طلب
ایتمیكی شكلده اولان بحاره قرینه‌سیله اسیت راشوره نائل اولدیغنه وسعی وعمل مساعیلرینك
صورتده‌سترده‌لره تابعیه ایدیلسه عجبا نه تو انكار وتصور اولنمق بالا شتهره اجتماع ایدیلمكله انكلتره‌لو
اجیقیه اجیغ وصورتده مقاصدلرینه نائل اولدیغی كافه سوكتلرجه‌لرك طرف ایتمك اوزره قدیمی اجتماعلرك
ایكنجی سنه‌سی یازیلمسیله حضرت شهریاریه عرضه عبودیت ایتمكی وظیفه‌دار عد اولدیغی طرف دولتلرینه
ویرمكده اولدیغی برصورتده قبول اولنمیوب تقدیم قصیده‌ده حضرت سنیه‌لریه ایلچی حكم معاونت مالیه بالكز یوم وتكالیف وسیقه‌یه
سخصر اولمقله احوال مالیه دولت علیه‌نك تعلم معاونتدن تماما كسب صدع ایچیلمكده وبونده عجوبه
اداجی دفع ومحلكلرك قوت وسایع ترویجنه استعداده بركیمه سیاسته ایتمكدن كیفیت مشتمله
وعملیاته محرمانه وسائقانه‌یه واسعه ایسه‌ده سلامت الامر موقعیتنه كافیه‌یه نظرا اولمغله اشكاره
بو ایسه سكوته واجب مطلقه وسقاطه ایله حاصل اولجه براز دشمدكی دولت علیه‌نك اعاده قوت

(ب)

الخطاب الذي أرسله هرتزل إلى السلطان عبد الحميد الثاني

قام هرتزل بدِعاية في كل العواصم الأوروبية عدا باريس، فلم يكن يُريد أنْ يُقيم علاقة مع فرنسا بصفتها مُدافعة عن الحقوق اللاتينية في فِلِسْطين، واتَّخذ السلطان عبد الحميد خان التدابير اللازمة حِيال هذا الأمر، وفي آب/أغسطس عام ١٨٩٨م أصدر مرسومًا ووزّعه على مُمَثلي الدُّوَل الأجنبية في فِلِسْطين من خلال حاكم القُدْس، وأبلغهم فيه أنَّه محظور على كل اليهود الدخول إلى فِلِسْطين دون تمييز جنسياتهم، وعلاوة على ذلك فإنَّه في نفس العام وبوساطة "محمد ويب (*Webb*)" زعيم الأمريكان المسلمين الذي يحظى بتأثيرٍ كبير في أمريكا، نجح عبد الحميد في الوصول إلى "ريتشارد جوتهل (*Richard Gottheil*)" زعيم اليهود الأمريكان، ودعاه إلى التخلّي عن حلم تهجير اليهود وتوطينهم في فِلِسْطين، وقامت الدَّوْلة العثمانيّة بإجراء اتصالات مع المتدينين والإصلاحيين من الجماعات اليهودية خاصة في روسيا وأمريكا، وبيّنت لهم أنَّه إذا قامت دولة يهودية في فِلِسْطين، فإنَّه ستُصادر جميع ممتلكاتهم في الدُّوَل التي يعيشون فيها مرفَّهين، وأنَّه سيتمُّ تهجيرهم إلى فِلِسْطين التي لا تمتلك إمكانيات مادية، وخاصة أنَّ فقْدان عضوية الاتحاد الصهيونيّ في أمريكا له مداخلات مُؤثّرة ومُهمّة.(١٠٦)

ورَغْم وضوح موقف الدَّوْلة العثمانيّة حِيال فِلِسْطين فإنَّ هرتزل لَمْ يتراجع عن موقفه، وحاول بشتى الطُّرُق والوسائل إقناع السلطان عبد الحميد الثاني للموافقة على اقتراحاته، وقبل أنْ يتوجَّه هرتزل إلى السلطان عبد الحميد من أجل موضوع فِلِسْطين أراد هرتزل أنْ يستفيد من وساطة الإمبراطور الألمانيّ "ويلهام الثاني (*Wilhelm II*)" الذي كان يتبنى سياسة الانفتاح على الشرق، ويُولي أهمية كبيرة لمُناسبات الدَّوْلة العثمانيّة ومراسمها في ذلك الوقت، وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٨٩٨م

(١٠٦) ميم كمال أوكه، مصدر سابق، ص ٧٠-٧٧.

أثناء زيارة الإمبراطور للدَّوْلة العثمانيّة سنَحت الفُرْصة لهرتزل، ونجح في التحدُّث مع الإمبراطور ويلهام الثاني في إسطنبول، ووعده الإمبراطور ويلهام بأنَّه سيُناقش مسألة توطين اليهود في فِلِسْطين مع السلطان عبد الحميد، التقى هرتزل بالإمبراطور الألمانيّ مرّةً أخرى أثناء زيارته لسوريا وفِلِسْطين، ولكنَّ اللقاء لم يُسْفر عن شيء.

ولمَّا رأى الإمبراطور الألمانيّ أن آراء هرتزل في إسطنبول معقولة، فاتحَ السلطان عبد الحميد في هذا الموضوع، إلا أنَّ وساطته لم تُجْدِ نفعًا ولم تُفلح، ونتيجة لهذا الأمر بدأ هرتزل في البحث عن حلول سياسيةٍ جديدة.(١٠٧)

وبناءً على مواقف اليهود المُتعنّتة حِيال مسألة توطينهم في فِلِسْطين مُقابل المُساعدات المالية التي ستُقدَّم للدَّوْلة العثمانيّة، فقدْ عبَّر علي "فروح بك (*Ferruh Bey*)" سفير الدَّوْلة العثمانيّة لدى واشنطن عن موقف بلاده إزاء هذا الموضوع في تصريحه لصحيفة محلية في ٢٤ نيسان/أبريل ١٨٩٩م؛ إذ قال:

> "ليس لدى حكومتنا أيّ نية في بيع أي جزء من الأراضي العربية، ولو جاؤونا بمِلْء الأرض ذهبًا فلن نتزحزح عن موقفنا قيد أنملة".

وأضاف فروح بك أنَّ مسألة شراء فِلِسْطين ليست مالية، ولكنَّها مسألة سياسية.(١٠٨)

ورَغْم وضوح موقف الدَّوْلة العثمانيّة في توطين اليهود في فِلِسْطين، فإنَّ هرتزل كان يعتقد أنَّه يُمكن إقناع السلطان عبد الحميد الثاني بالمُقترحات التي سيعْرِضها عليه عند مُقابلته شخصيًّا، ظلَّ هرتزل

(١٠٧) بوستانجي، مصدر سابق، ص ١٠٨.

(١٠٨) بوستانجي، مصدر سابق، ص ١٠٨.

بدون وسيط بعد موت نيولينسكي، وأرسل خطابًا إلى عزت باشا الكاتب الثاني لقصر السلطان -وقد تعرّف عليه أثناء زيارته الأولى لإسطنبول- يُعبّر فيه عن رَغْبته في لقاء السلطان عبد الحميد الثاني شخصيًّا، لكنَّ هرتزل لم يتلقّ أيّ ردٍّ منه، وبناءً على هذا اتصل هرتزل بـ"أرمينيوس فامبري (*Arminius Vambery*)" اليهوديّ المجَريّ الأصل والمُهتمّ بالشأن العثماني، واستطاع هرتزل أنْ يحصل على موعدٍ لمُقابلة السلطان عبد الحميد شخصيًّا عن طريق وساطة فامبريّ الذي حصل على خمسة آلاف قِطْعة ذَهَب مُقابل ذلك.

زيارة الإمبراطور الألماني ويلهام الثاني

(مكتبة الآثار النادرة بجامعة إسطنبول، رقم التسجيل/ ٩٠٦٥٢-٢٠)

في ١٩ أيار/مايو ١٩٠١م التقى هرتزل بجلالة السلطان في سلاملك قصر يلدز، ومن خلال ترجمة إبراهيم بك مسؤول التشريفات في القصر شرح هرتزل للسلطان عبد الحميد ما يتعرّض له أبناء جنسه منْ ظلم واضطهاد في الدُّوَل الغربية، وقدَّمَ عرفان اليهود وشكرهم للسلطان عبد الحميد لعدالته وحسن معاملته لرعاياه اليهود، وبناءً على ذلك أجاب السلطان عبد الحميد الثاني أنَّ أبواب الدَّوْلة العثمانيّة مفتوحة للمهاجرين اليهود، وذكّر هرتزل السلطان عبد الحميد بأنَّ ما تمتلكه الدَّوْلة العثمانيّة من أراض خَصْبة وثرَوات طبيعية كالذهب والفضة وحقول البترول الشاسعة في بلاد ما وراء النهر "الرافدين" يُمكن أن يُسهم في ازدهار الاقتصاد، وأن يضع القدرة الاقتصادية للدَّوْلة العثمانيّة في مركزٍ مُتقدّم، ولكن كل هذه الثروات يتمُّ احتكارها واستنزافها من قِبَل الدُّوَل الأوروبية، وأوضح هرتزل بأنَّ الصُّنَّاع الألمان المُوكل إليهم مشروع سكك حديد بغداد -برلين، والمصرفيّين الفرنسيّين الذين يُسيطرون على إدارة الرّيجي لاحتكار التبغ، والذين يحصلون على امتيازات أُخرى لا يُفكرون في مصالح الدَّوْلة العثمانيّة أبدًا، ولكنَّهم يرغبون في مَلْء جيوبهم وتحقيق المكاسب والأرباح فقط، وذكر هرتزل أنَّ الدُّوَل الكُبرى تُعِيق النهوض الاقتصادي للدَّوْلة العثمانيّة حتى تتمكن من فَرْض الوصاية عليها، وأنَّه في حالة قبولكم توطين اليهود في فِلِسْطين فإنَّهم سيُسخِّرون كل إمكانياتهم وقُدُراتهم ومعلوماتهم لخدمة الدَّوْلة العثمانيّة، إنَّ اليهود بإمكانهم تحرير مالية الدَّوْلة العثمانيّة من رقّ الوصاية الغربية، وإجراء حمَلات ومُبادرات اقتصادية تُسهم في ازدهار الدَّوْلة العثمانيّة، أنصتَ السلطان عبد الحميد بعِناية لكلام هرتزل، وطلب منه إعداد خطة من أجل توحيد ديون الدَّوْلة العثمانيّة، وبعد شهر من مُغادرته إسطنبول عرَض هرتزل خِطَّته على السلطان عبد الحميد.[١٠٩]

(١٠٩) ميم كمال أوكه، مصدر سابق، ص ٤٣-٤٧.

إنَّ الترحيب الذي أبداه السلطان عبد الحميد يرجع إلى اهتمام الإمبراطورية المجَرية -النمساوية بقضية مَقدونيا، ولهرتزل دور كبير فيها لكونه مُراسلًا لصحيفة الحرية الجديدة، وهي مُؤثّرة في تلك الدُّوَل؛ لذلك قلَّد السلطان عبد الحميد هرتزل وِسام المَجِيدية من الدرجة الأولى في نهاية هذا اللقاء، وأهداه دبّوسًا لرابطة العُنُق مُرصَّعًا بالأحجار الكريمة.(١١٠)

أدرك اليهود أنَّه لا يمكنهم إقناع السلطان عبد الحميد بمطالبهم بالطُّرُق العادية، وأنَّ السلطان عبد الحميد يُمثّل عقَبة كبيرة أمام تحقيق آمالهم، فبدؤوا بالبحث عن وسيلة للإطاحة بالسلطان عبد الحميد عن الحُكْم؛ وتغلغلوا في جماعة "تركيا الفتاة" لتنفيذ هدَفهم، واستغلّوا إيمانويل قراصو الذي له دور كبير في جمعية الاتحاد والترقي، وسخرّوه لصالحهم، وفي ١٧ أيلول/سبتمبر عام ١٩٠١م ترأّس إيمانويل قراصو وفدًا صهيونيا لمُقابلة السلطان عبد الحميد، وعرَض عليه تقديم ٢٠ مليون ليرة مُقابل توطين يهود روسيا المُضطهدين في فِلِسْطين وتمتُّعهم بحُكْم ذاتيّ، إلا أنَّ السلطان عبد الحميد غَضِب من هذه الاقتراحات، وقام بطَرْد الوفد.(١١١)

وفي عام ١٩٠٢م استدعى السلطان عبد الحميد هرتزل إلى قصر يلدز، وأبلغه بأنَّه يسمح لليهود بالإقامة في كافة أنحاء الدَّوْلة ما عدا فِلِسْطين، واشتغالهم في كافة أنواع المعادن واستغلالهم لها، إلا أنَّ هذا الاقتراح لم يُرح هرتزل ولم يُعجبه، وأصرَّ على فِلِسْطين(١١٢)، وكانت الاقتراحات المُقدَّمة إلى هرتزل هي:

> "**أولا**: أنه يُسمح لليهود بالهجرة، لكن شريطة ألا يتجمّعوا في مكان واحد، وأنْ لا تكون أعدادهم كبيرة، وأنْ يتفرّقوا في المُدن التي تُحدّدها لهم الحكومة من الأناضول والعراق، وأنْ

(١١٠) بوستانجي، مصدر سابق، ص ١٠٩-١١٠.

(١١١) بوستانجي، مصدر سابق، ص ١١١.

(١١٢) ش. طوفان بوزبينار، مصدر سابق، ص ١٥٠-١٥٥.

يخضعوا لقوانين ونظام الدَّوْلة العَليّة، وأنَّهم يُكلّفون بتأدية الخدمة العسكرية في الدَّوْلة العثمانيّة كالعثمانيّين، وأنه ينبغي أن يحصلوا على التصاريح والمُوافقات الرّسميّة من قِبَلِ الحكومة.

ثانيا: وفي مُقابل هذه الامتيازات يقترح السلطان العثمانيّ إنشاء صندوق ماليّ يهوديّ لخدمة الحكومة ومُساعدتها في المواد التالية، على أنْ تكون إدارة هذا الصندوق مُشتركة بين المسلمين واليهود رعايا الدَّوْلة العثمانيّة، وأنْ تُؤسّس شركة عثمانية محلية للاستفادة من كافة الثروات المعدنية في الدَّوْلة العثمانيّة، وأن تُقدّم تسهيلات كبيرة في مسألة توحيد الديون ومعالجتها بشروط يسيرة ومُجْدية للدَّوْلة العَليّة.

ثالثا: أن تقترض الدَّوْلة العلية المبالغ التي تحتاجها للمشاريع الهادفة بأيسر شروط وأقلّ فائدة".

وبعد أن أُبلغ هرتزل بهذه الاقتراحات ردَّ قائلًا:

"لقد تلقيت مُقترحاتكم ورغَباتكم بكلِّ تقدير وإجلال، إلا أنَّني أعتذر عن عدم قبولي لهذه الشروط السالفة الذكر، لكنّني مُستعدٌّ للتفاوض في أيّ وقت من أجل بحث المُقترحات الأُخرى.

توقيع/ د. ثيودور هرتزل.(١١٣)

قَبِل السلطان عبد الحميد بمُقابلة هرتزل بصفته وسيطًا يُوفّر قنَوات الاتصال الضرورية مع المصرفيّين والبنوك اليهودية لتسوية ديون الدَّوْلة العثمانيّة، لا على أنه زعيم للصهيونية، وفكّر السلطان عبد الحميد في الاستفادة من اليهود لدفع ديون الدَّوْلة العثمانيّة، وتحرير مالية الدَّوْلة من سيطرة هيئة الديون العُموميّة.

(١١٣) BOA. Y.PRK.TŞF, ٦/٧٢

غادر هرتزل إسطنبول عام ١٩٠٢م، والتقى بعدها مع "جوزيف شامبرلن (*Joesph Chamberlain*)" وزير المستعمَرات البريطانية، واقترح عليه إنشاء مُستوطنات لليهود في مدينة العريش في شبه جزيرة سيناء بحُكْم مُلاصقتها لفِلِسْطين، إلا أنَّ شامبرلن رفَض هذا الاقتراح، وعرَض عليه مكانًا آخر، لكن هرتزل ردَّ عليه مُشيرًا إلى فترة وجود بني إسرائيل في مصر:

"سيدي الوزير نحن لن نذهب إلى هناك بل كنا هناك من قبل".

ولمَّا علمت الحكومة المصرية والدَّوْلة العثمانيّة برَغْبة اليهود في العريش، اعترضوا بشدّة على هذا الأمر، وبهذا أُغلقت مسألة العريش.(١١٤)

دعَتِ الحكومة البريطانية هرتزل لزيارة لندن في عام ١٩٠٣م، وعرَضتْ عليه إقامة وطن قوميّ لليهود في أوغندا -إحدى المُستعْمَرات البريطانية في شرق إفريقيا-، ووافق هرتزل على هذا الاقتراح إلا أنَّه أحدث خلافات كبيرة بين اليهود؛ لأنَّ كثيرًا من زعماء الصهيونية لم يقبلوا بديلًا عن فِلِسْطين، وعلى رأس هؤلاء "حاييم وايزمان (*Chaim Weizmann*)" زعيم يهود روسيا المعروفين بـ "أوستجودين (*Os،juden*)"؛ إذ رفضت هذه الجماعة في مؤتمر الصهيونية السابع الذي عقد في ٢٧ تموز/يوليو ١٩٠٥م اقتراح إنجلترا إقامة وطن قوميّ لليهود في أُوغندا رفضًا قطعيًّا، وقرّروا أنَّهم لن يقبلوا أيّ اقتراح بإنشاء وطن قوميّ لليهود غير فِلِسْطين، وكان عقد المُوتمر الصهيوني الأول وإنشاء المُنظمة الصهيونية العالمية قد شكّلا أول خطوة وأهمّها في طريق الحركة الصهيونية، وكان قرار المؤتمر الصهيونيّ السابع بعدم قبول وطن قوميّ لليهود بديلًا عن فِلِسْطين هو ثاني خطوة مهمة نحو الحركة الصهيونية.

(١١٤) بوستانجي، مصدر سابق، ص ١١٢-١١٣.

لقد كرَّس تيودور هرتزل حياته من أجل إقامة وطن قوميّ لليهود في فِلِسْطين، إذ تزعّم يهود العالم، وعَمِل على توحيدهم وتنظيمهم، وقد حاول مرارًا إقناع السلطان عبد الحميد الثاني بتحقيق حلم اليهود، مات هرتزل في ٣ تموز/يوليو عام ١٩٠٤م دون أنْ يحصل على نتائج ملموسة من المُفاوضات التي أجراها مع الدَّوْلة العثمانيّة، وربَّما مات هرتزل دون أنْ يُحقّق حُلمه، لكن الطريق الذي سلكه حاز أهمية كبيرة نحو إقامة دولة يهودية.(١١٥)

تولَّى "ديفيد ولفسون (*David Wolfsohn*)" زعامة المنظمة الصهيونية بعد وفاة هرتزل، وكان له في شبابه نشاط كبير في جمعية مُحبّي صهيون، ثمَّ قام بعد ذلك بالعمل مع هرتزل، حضر ولفسون إلى إسطنبول في ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٠٧م، وقام بعَرْض مُقترحات جديدة على الدَّوْلة العثمانيّة، وهي:

- توطين ٥٠٠٠٠ عائلة يهودية في فِلِسْطين خارج القُدْس.
- أنْ تقبل هذه العائلات تبعيّتها للدولة العثمانيّة، وأن تخضع لقوانينها.
- أنْ يُؤدي اليهود الخدمة العسكرية مثل العثمانيّين، ولكن يُعْفون من الضرائب.
- تحُدّد الحكومة العثمانيّة أماكن الاستيطان، وتُوزّع الأراضي المملوكة والمُسجّلة باسم المنظمة الصهيونية على المستوطنين اليهود في أقصر وقت ممكن.
- يدفع اليهود مُقابل هذه الامتيازات مليوني جنيه إسترلينيّ لصالح الدَّوْلة العثمانيّة.

(١١٥) بوستانجي، مصدر سابق، ص ١١٣-١١٤.

رفضت الدَّوْلة العثمانيّة هذه المُقترحات إلا أنَّها سمَحت لليهود بإنشاء بنك في إسطنبول، وتولَّى "فيكتور جاكوبسون (*Victor Jacobson*)" - مدير بنك إنجلترا فِلِسْطين في بيروت- إدارة هذا البنك الذي أُنشئ باسم "الشركة المصرفية الإنجليزية المتحدة (*Anglo-Levantine Banking Company*)"، واعتبر اليهود هذا البنك مُمثلًا عنهم في عاصمة الدَّوْلة العثمانيّة، وجعلوا الدكتور جاكوبسون سفيرهم هناك.

ورَغْم أنَّ ولفسون لمْ يُفلح في المُقترحات التي قدمها للدُّوْلة العثمانيّة في توطين اليهود في فِلِسْطين، فإنَّه قد قام بعد ذلك بافتتاح بنك يتولى العلاقات الدبلوماسية ويُعززها.(١١٦)

ورَغْم كل الجهود التي بذلها السلطان عبد الحميد والتدابير والإجراءات التي اتخذتها الدَّوْلة العثمانيّة، فقد نجح الصهاينة في توطين آلاف اليهود في فِلِسْطين، وارتفع عدد اليهود الذين يعيشون في فِلِسْطين عام ١٩٠٨م -وهو العام الذي صدر فيه الإعلان الدستوري- إلى ثلاثة أضعاف ماكان عليه عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحُكْم عام ١٨٧٦م؛ وذلك بسبب زيادة عدد المهاجرين الذي وصل إلى ثمانين ألف يهوديّ، ونجح اليهود حتى هذا التاريخ بإقامة ٣٣ بُؤْرة استيطانية وشراء أربعين ألف دونم.(١١٧)

(١١٦) ميم كمال أوكه، ص ٤٨-٥٠.

(١١٧) ميم كمال أوكه، ص ٨١.

٥- اليهود وجمعية الاتحاد والترقي

إنَّ عـدم حصـول اليهود على تنـازلات من قِبَل السـلطان عبد الحميد الثاني في مسـألة توطين اليهود في فِلِسْـطين، جعلهـم يُعلّقون آمالًا كبيرة على إعلان المشروطية الثانية؛ لأنَّ صعود جمعية الاتحاد والترقي إلى سُدّة الحُكْـم بشـعارات الحرية الجديدة أوجد مناخًـا إيجابيًّا أكثر من ذي قبل، فقـد قامـت بإلغاء تصريح الدخـول -وهو البطاقة الحمـراء- الذي فرضه السـلطان عبد الحميد على من يرغبون في زيارة القُدْس، كما أنَّها فتحت الباب على مِصْراعيه لشـراء الأراضي في فِلِسْـطين، إلا أنَّ هذا الوضـع لمْ يستمرّ طويلًا، وخاصةً بعد واقعة ٣١ آذار/مارس؛ إذ شعرت جماعة "تركيا الفتـاة" بالقَلَـق إزاء زيادة دعـاوي الأقليات من أجل الاسـتقلال والحُكْم الذاتـي، ووضعـت قوانين وقيود جديدة صارمة، وكان أهمّ سـبب لاتخاذ جماعة "تركيا الفتاة" هذا الموقفَ تجاه الصهيونية، هو أنَّها لمْ تكن تسمح بميـلاد حركـة انفصالية جديـدة في الوقت الـذي كانت النّعَـرات القومية تُهـدّد الدولـة العثمانيّة، إلا أنَّ ما يخافون منـه حدَث في جبهة أخرى؛ فقد تطوّرت دعاوى القومية العربية في تلك الفترة على صورة جمعيات سِرّية مُؤثّرة؛ من أجل الحصول على الاسـتقلال وخصوصًا في سـوريا ولبنان، إنَّ المُطالبيـن بهذه الدعاوي كانـوا لا يرغبون بالحُكْم الصهيونيّ اليهوديّ محـلّ الحُكْـم العثمانيّ في فِلِسْـطين، وعارضوا النظـام العثمانيّ الذي لم يتمكّـن مـن إيقاف هجرة اليهود إلى فِلِسْـطين، وبذلوا كل ما في وُسْـعهم لمَنْـع اليهود من إنشـاء المُسـتعْمَرات في فِلِسْطين في ذلك الوقت؛ ولهذا لم يكن وجود الفِلِسْطينيين على رأس دُعاة القومية العربية ضدّ العثمانيّين من قبيل المُصادفة.

خلال افتتاح المدرسة الصلاحية "الأيوبية" في القدس (١٩١٦)

(الأوائل من اليمين إلى اليسار): *Von Schellendorf*، أنوَر باشا، جمال باشا

(*Kong. Kip. LC-DIG-ppmsca*-١٣٧٠٩-٠٠٠٧٢)

إنَّ من أسباب تطوّر ردود الفعل العربية ثمّ تحوّلها إلى حركة قومية مع الوقت، هو زيادة بيع الأراضي لليهود رَغْم كل القيود والقوانين، وأغدقت المُنظمات الصهيونية كثيرًا من الأموال في فِلِسْطين لشراء الأراضي، مثل الصندوق القوميّ اليهوديّ الذي أُنشئ في عام ١٩٠١م، وقام بعض أصحاب الأملاك من العرب الذين أغوتهم شهوة المال ببيع ما تحت أيديهم من أراضٍ، أمَّا الحكومة المركزية فقد انشغلت بالصِّراعات الداخلية والخارجية، ولم تتمكن من التصدي لهذه التطورات؛ ونتيجة لهذا فقد ناهضت القومية العربية الاستيطان اليهوديّ الصهيونيّ.

إنَّ من أهم عناصر التنافس على فِلِسْطين والصراع بين القومية العربية والقومية اليهودية، هو تدخُّل القُوى الأوروبية التي لها مصالح مختلفة في هذه المنطقة الحيوية؛ إذ إن بعض الدُّوَل الغربية -وعلى رأسها إنجلترا- لم تتوانَ عن دَعْم هذين التيارين دون التفكير في تعارُض الصهيونية مع القومية العربية في المُستقبل، واستغلّت الحرَكات القومية والانفصالية عن طريق الوسائل الدبلوماسية الخارجية؛ لتتمكن من احتلال منطقة الشرق الأوسط التابعة للدولة العثمانيّة، ووفّرت الحِماية لهذه الحركات، وأقامت مناطق نفوذ داخل الدَّوْلة العثمانيّة عن طريق العناصر التي تتعاون معها، وهيّأت من خلالها مناخًا يُمكّنها من تقاسُم ميراث الدولة العثمانيّة فيما بينها بعد تقسيم الدَّوْلة العثمانيّة.(١١٨)

أثناء الحرب العالمية الأولى قامت القُوى الأوروبية التي تُعارض التحالُف الألمانيّ العثمانيّ بتحريض العناصر غير التركية داخل الدَّوْلة العثمانيّة، وعلى رأسها الصهاينة ضدّ نظام الحُكْم العثمانيّ، وفي النهاية نجحوا في اختراق الدَّوْلة عن طريق أنشطة الطابور الخامس وتمرّد الأتراك الذين لم يحقّقوا النصر على الجبهة.

إنَّ تعَهْدات هذه الدُّوَل للعرب أو لليهود حتى تحصل على تأييدهم في الحرب جعلت الموقف الفِلِسْطيني أكثر تعقيدًا، فقد قطعت إنجلترا في ١٩١٥م-١٩١٦م وعودًا كبيرة للعرب من أجل تحريضهم على الدَّوْلة العثمانيّة؛ إذ جاء في المراسلات بين الشريف حسين و"مكماهون (*McMahon*)" أنَّه مُقابل تقديم العرب الدَّعْم لقوات الحلفاء فإنَّها تتعَهْد باستقلال الأراضي العربية، إلا أنَّ عدم ذكر اسم فِلِسْطين صراحة قد أثار شيئًا من الغموض، ورَغْم هذا فإنَّ الشريف حسين لم يُدرك أن هذه التعَهُّدات هي خداع ووعود زائفة، وقام بالثورة على العثمانيّين من خلال مُساعدة دُوَل التحالف، وقامت إنجلترا وفرنسا رَغْم تعارض

(١١٨) قارامان، مصدر سابق، ص ٩٤.

مصالحهما بإعداد مُعاهدة سرّية مُشتركة بينهما في أيار/مايو عام ١٩١٦م بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وطبقًا لهذا الاتفاق الذي عُرف بمعاهدة "سايكس بيكو (*Sykes-Picot*)" قسَّمت إنجلترا وفرنسا الأراضي العربية إلى منطقتي نفوذ إنجليزية وأخرى فرنسية، وحنثتْ بوعودها في إقامة دولة مستقلة للعرب، ووضعتْ الأراضي الفِلِسْطينية التي لم يتمّ الاتفاق عليها تحت إدارة دولية، لقد استمرّ اليهود بالعمل المُمنهج والتخطيط خلال الحرب العالمية الأولى من أجل تحقيق أهدافهم، فقدّموا الدَّعْم لدولة إنجلترا، وخاصة أن جهود الدبلوماسيّ اليهوديّ "حاييم وايزمان" الذي كان في إنجلترا آنذاك قد أحدثت تقاربًا كبيرًا بين إنجلترا واليهود.

إنَّ من الأدلة على خِداع الإنجليز للعرب بالوعود الزائفة هو الخطاب الذي كتبه "بلفور" وزير الخارجية البريطاني إلى اللورد روتشيلد باسم اتحاد الجمعيات الصهيونية التي تهدف إلى إقامة وطن قوميّ لليهود في فِلِسْطين، وعُرف هذا الخطاب بـ"وعد بلفور"، فقد جاء فيه أنَّ بريطانيا تتعَهْد بالدفاع عن إقامة وطن قوميّ للشعب اليهوديّ في فِلِسْطين، وأنَّه لا مَساس بحقوق غير اليهود الدينية والمدنية هناك، وأنَّها ستبذل قُصارى جهدها من أجل تحقيق هذا الهدف.

وفي الوقت الذي وعدت فيه إنجلترا بإقامة وطن لليهود في منطقة لا تمتلك حقّ التصرف فيها، كان ٩٠ ٪ من سكان فِلِسْطين من العرب وامتلاك اليهود للأراضي لا يتعدّى ٢ ٪، ورَغْم هذا التعارض طمأنت إنجلترا العرب بأنَّ هذا الوعد لا يعني إقامة وطن لليهود، وأنَّها ستدعم إقامة دولة عربية مُستقلة مُوحّدة.

وفي ٣١ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩١٧م تمكَّن الجيش البريطاني بقيادة الجنرال/مشير "اللنبي (*Allenby*)" من احتلال منطقة "بِئْر سبع"، ولم يفلح الفيلق العسكري الجديد من الجبهة العثمانيّة في الدفاع

عن القُدْس، واحتلها الجنرال اللنبي في ١١ كانون الأول/ديسمبر، وعندما وَطِئت قدماه أرض القُدْس قال:

"اليوم انتهت الحروب الصليبية"

وبعد سقوط القُدْس على يد الإنجليز احتلوا كافة الأراضي الفِلِسْطينية بحلول عام ١٩١٨م، وبهذا انتهى الحُكْم الفعليّ للدولة العثمانيّة، وطُويت صفحة الخلافة الإسلامية التي استمرّت لقرون صُبغت خلالها المنطقة بهوية عربية إسلامية.(١١٩)

جنود عثمانيون يرفعون الراية في غزة

(Kong. Ktp. LC-DIG-ppmsca-١٣٧٠٩-٠٠١١٦)

(١١٩) - قارامان، مصدر سابق، ص ٩٤.

٦- الجمعيات اليهودية وأنشطتها

إنَّ رغبة اليهود في العيش في فِلِسْطين جمعتهم على كلمة واحدة، وتحت راية منظمات تشترك في نفس الهدف، ولكن بأسماء مختلفة، كان "الاتحاد الإسرائيليّ العالميّ" الذي أسس في باريس عام ١٨٦٠م من أجل مُساعدة اليهود المُضطهدين في كافة أرجاء العالم، هو أول مُنظمة تتبنى محاولات تهويد فِلِسْطين، ثمَّ تبعتها مُنظمة "عِبْرانيو لندن" التي أُسست في لندن بعد ذلك بعام واحد، وعلى إثر مَوْجة الاضطهاد والعداء تُجاه اليهود في روسيا أنشأ اليهود في عام ١٨٨١م جمعية باسم "مُحبّي صهيون (*Hovevei Zion*)" في مدينة أوديسا الروسية.

ثم انفصل ما يقرب من ٥٠٠ شاب عن جمعية "مُحبّي صهيون"، وأنشؤوا حركة مُستقلة باسم "حركة بيلو"، وفي حزيران/يونيو عام ١٨٨٢م حاولت مجموعة صغيرة تنتمي لحركة "بيلو" أنْ تَعْبُر إلى يافا عن طريق إسطنبول، وبسبب الحظر الذي فرضته السلطات العثمانيّة لم يتمكَّن سوى عدد قليل من الدخول إلى الأراضي الفِلِسْطينية، ولكنَّهم لم يتمكنوا من تكوين حرَكات مُنظمة هناك.

امتدَّ تأثير حركة بيلو إلى يهود إسطنبول؛ إذ أصدرت جماعة بيلو إسطنبول في عام ١٨٨٢م بيانًا باسم "مانيفستو بيلو"، وتُعتبر هذه أول وثيقة صهيونية تتبنّى فكرة إقامة وطن قوميّ لليهود في فِلِسْطين.

وقد ورد في بيان "رواد حركة بيلو" أنَّ الشعب اليهوديّ يعيش حياة النَّفْي والطَّرْد في كافة أرجاء العالم بعدما هُدّمت معابده وأُحرقت، ولكن حياة المَنفى هذه ليست سوى غَفْوة، وأنَّها لن تقوم بأيّ شيء

حتى ينهض اليهود، وأنَّه سيتمُّ إنشاء فروع لجمعية بيلو في كل المجتمعات، وستكون القُدْس مركزًا لهذه الجمعيات.(١٢٠)

بذلت الجمعيات اليهودية جهودًا كبيرة من أجل تحقيق حلم توطين اليهود في فِلِسْطين، ففي الوقت الذي كانت فيه بعض هذه الجمعيات -مثل "جمعية يهود إزمير"- تجمع الأموال من أجل اليهود، كان البعض الآخر مثل "الجمعية الصهيونية في سلانيك" تبذل جهودًا حثيثة؛ من أجل تهجير يهود سلانيك ومقدونيا وبعض المناطق الأخرى إلى أرض فِلِسْطين.(١٢١)

تُعدُّ جمعية "الاتحاد اليهوديّ" من أكثر هذه الجمعيات تأثيرًا؛ إذ كانت تعمل في الظاهر على أنها جمعية خدمية تهدف إلى تحسين مُستوى المعيشة للشعب اليهوديّ وتربيته أخلاقيًّا، ولكن هدفها الأساسيّ هو تشجيع هجرة اليهود المُشتتين من كافة أنحاء العالم وتوطينهم في سوريا وفِلِسْطين، وتجميعهم في مُلتقى واحد، وكانت تستخدم كافة الوسائل المادية والمعنوية من أجل إحياء أفكارهم ومُعتقداتهم؛ ولهذا كانت تفتتح لها فروعًا صغيرة في كل بلد تحت أسماء مختلفة، وكانت هذه الجمعية تضمُّ في عضويتها أصحاب النفوذ وأثرياء العالم مثل "روتشيلد (*Rothschild*)" و"البارون هرشين (*Baron Herşin*)" وكثير غيرهم.

إنَّ هجرة يهود روسيا التدريجية التي لم تكن كما يتوقّعون، ولم تكن مرضية لهم، وكذلك تيقّظ الدَّوْلة العثمانيّة وتحفظها على قبولهم قد جعلت رُوّاد هذه الجمعية يُصابون بخيبة أمل ويَأْس كبير؛ فأنشؤوا جمعية كبيرة في رومانيا باسم جمعية الانتقام.

اتَّخذت هذه الجمعية من رومانيا مركزًا لها، وجعلت من فكرة العَدَمية الوجودية التي ظهرت أصلًا في روسيا مذهبًا لها.

(١٢٠) بوستانجي، مصدر سابق، ص٩٣-٩٦.

(١٢١) BOA. HR. SYS, ٤١٠/٣-٢٤

وكانت هذه الجمعية تضمّ عناصر تخريبية هدّامة تقوم بالتنسيق مع الجمعيات العدمية في روسيا، وكان هدفها هو إحداثَ مُواجهات دمَوية من باب ردّ الفِعْل على ما ترتكبه روسيا في حقّ الشعب اليهوديّ، واتخاذَ كافة السُّبُل والوسائل من أجل قبول الدَّوْلة العثمانيّة لليهود.

رَغْم وضوح نظام عمل هذه الجمعية وطريقة إدارتها، فإنَّ الوسائل التي تستخدمها من أجل تحقيق أهدافها كانت مجهولة، فقد قامت الجمعية بإنشاء فرع لها في فِلِسْطين وسوريا، وترأَّس هذا الفرع مسيو فرانك الذي كان يتولى دَعْم وَحْدة الصف والترابُط اليهوديّ في سوريا قديمًا، إذ كان يقيم في الترَسانة الأميرية، وكان مُوكلًا من قبل روتشيلد، رَغْم أن "مسيو فرانك (*Mösyö Frank*)" يهوديّ فرنسيّ إلا أنَّه حصل على جنسية روسية بعد انتقاله إلى ولاية "الإلزاس (*Alsas*)" في ألمانيا، نجح مسيو فرانك في توطين كثير من اليهود في سوريا وفِلِسْطين، وهكذا اتضحت أهدافه الخفية من تحركاته، وكان من مهامه في سوريا شراء مساحات شاسعة من الأراضي باسم موكله روتشيلد.

حاول مسيو فرانك أن يستفيد من الأزمة المالية التي تُعاني منها الدولة العثمانيّة؛ ولهذا قام بمبادرات عديدة، منها أن يدفع للدَّوْلة العثمانيّة قَرْضًا بقيمة نصف مليون فرنك بفوائد مُخفّضة مُقابل أراضٍ تُنقل ملكيتها إلى روتشيلد في سوريا.

إنَّ الهدف منْ مجيء مسيو فرانك إلى دار السعادة (إسطنبول) ليس هو دفع الأموال للحكومة العثمانيّة مُقابل الأراضي فحسب، ولكن أثناء وجوده في إسطنبول تشاور مع بعض اليهود من أصحاب الأقلام والمعلمين في الشركة الاتحادية اليهودية؛ من أجل افتتاح مقرّ جديد لجمعية الانتقام في إسطنبول، ووَضَع حجَر الأساس لهذا الفرع.[١٢٢]

(١٢٢) BOA. Y. PRK. BŞK, ٢٢/٨٩

كان البارون روتشيلد أكبر داعم ومُموّل لهجرة اليهود إلى فِلِسْطين من دون شك، إذ إن حَجْم المساعدات التي قدَّمها روتشيلد من أجل استيطان اليهود في فِلِسْطين يفوق كثيرًا ما تُقدّمه كثير من الجمعيات، قام مجلس إدارة الجمعية العمومية في باريس عام ١٨٥٤م بإيفاد ألبرت جون سكرتير روتشيلد ورئيس الجمعية الخيرية اليهودية إلى الشرق، ومعه خمسون ألف فرنك، وافتتح جون بأموال روتشيلد مدرسة في الإسكندرية، ومدرسة مهنية للبنين ومدرسة لتعليم البنات ومستشفى في القُدْس، فمثلًا حَجْم ما أنفقته جمعيات مُحبّي صهيون في الأعوام ما بين ١٨٨٣م-١٨٩٩م من أجل التجمعات الاستيطانية الجديدة لم يتجاوز ٨٧ ألف جنيه إسترلينيّ، بينما قدَّم روتشيلد في نفس هذه الأعوام بمبلغ ١,٥ مليون جنيه إسترليني.[١٢٣]

حاولت الإدارة العثمانيّة إجهاض أنشطة روتشيلد بشتى الطُّرُق، فكانت تحظُر بيع الأراضي ونقل ملكيتها إلى الجمعيات اليهودية المختصة والموكلة من قبل روتشيلد،[١٢٤] إلا أنَّ وقف هذه الأنشطة لم يكن مُمكنًا.

وتكشف إحدى الوثائق عن بعض أنشطة روتشيلد الاستيطانية من خلال ما سرَدَه بعض المُعاصرين لهذه الأنشطة، فقال:

> قبل حوالي سبع سنوات كنت شاهد عيان على ما قام به روتشيلد من جهود لإنشاء قُرى يهودية من أجل توطين يهود روسيا وغيرهم في عكّا والقُدْس، وعلى ما قام به روتشيلد من إنفاق مبالغ طائلة في هذه الولايات وخداعه للشعب المسلم بالأموال والحِيَل، ورَغْم قبول اليهود لكل عروض الدَّوْلة العثمانيّة مُقابل هجرتهم إلى فِلِسْطين، إلا أنَّهم أثاروا كثيرًا من المشكلات للدَّوْلة العثمانيّة، فقد مُنع اليهود من الهجرة إلى فِلِسْطين؛ لأنَّ زيادة أعدادهم بشكل كبير سيكون سببًا في ظهور مُشكلات

(١٢٣) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ٤٢-٤٣.

(١٢٤) BOA. ŞD, ٢٢٨٠/٢٦

سياسية وخيمة في المستقبل، ولم تُؤخذ اقتراحات روتشيلد من أجل رَفْع الحَظْر في زمن الصدر الأعظم السابق بعين الاعتبار، واستمرّ الحَظْر المفروض على هجرة اليهود إلى فِلِسْطين.

بذل روتشيلد جهودًا كبيرة قبل تطبيق هذا الحَظْر من أجل هجرة اليهود وتوطينهم في فِلِسْطين وحمايتهم، وخصوصًا أنه كان يُسيطر على البورصات في أوروبا، وكان يتمتع بنفوذ كبير جدًّا في بعض الدُّوَل الأوروبية، ومن ثمّ قام بمحاولات مُضْنية من أجل رفع هذا الحَظْر، إلا أنَّ كل هذه الجهود كانت تمثل خطَرًا داهمًا؛ لأنه إذا تمَّ توطين اليهود في فِلِسْطين، فإنَّ هذا سيفتح الباب على مِصْراعيه؛ لتظهر مُشكلة أرمينية بصورة أكبر في المستقبل.

وحسبما سمعت فقد لجأ روتشيلد إلى جواد باشا الصدر الأعظم للدَّوْلة العثمانيّة؛ لكي يحصل على مُساعدته من أجل السماح لليهود بالهجرة إلى فِلِسْطين، وكان من المحتمل إيجاد حلّ لهذا الموضوع في وقت قريب؛ بسبب مُحاولات جواد باشا مساعدته في هذا الأمر.

اتُّخذت التدابير من أجل مَنْع مَوْجات الهجرة المُتدفقة بشكل مُنتظم، بعد أن تواصلت هجرة يهود روسيا وغيرهم إلى فِلِسْطين بدَعْم من روتشيلد؛ وذلك لأنَّ كثافة أعداد اليهود في هذه المنطقة يُمكن أن تفتح أبواب مشكلات عديدة كالمشكلة الأرمينية.

(٢٢ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٤م) ".[١٢٥]

وهذه أمثلة لبعض الجمعيات والمنظمات اليهودية التي أُسست لمساعدة اليهود:

١- "حالوقا (*Haluka*)":

أُسّس هذا الصندوق من أجل مُساعدة اليهود في فِلِسْطين،

(١٢٥) BOA. Y. PRK. AZJ, ٣٠/٣٧

وكان يَهدف إلى جَمْع المُساعدات من كافة الجمعيات اليهودية في كل بُقْعة من العالم؛ من أجل مساعدة اليهود في فِلِسْطين، وكانت هذه المساعدات تُجمع بشكل مُنظم عن طريق مُوظفين معنيّين بهذا الأمر.

٢- "مُنظمة الاتحاد الإسرائيليّ العالميّ
(Alliance Israelite Universelle) (AIU)":

أُسّست في باريس عام ١٨٦٠م من أجل استقلال اليهود وتعليمهم والنهوض بهم، كانت هذه المُنظمة مركزًا للتكافُل والترابُط الدينيّ والرقيّ الروحيّ، وكانت حائط الدفاع الأول عن كل مُضطهد لكونه يهوديًّا.

أَنشأت هذه المنظمةُ في إسطنبول ما بين ١٨٧٤-١٩٠٨م إحدى عشرة مدرسة، منها ستّ مدارس للبنين، وخمس مدارس للبنات، إذ كان يدرس فيها ما يربو عن ٤ آلاف طالب يتلقّى نصفهم تعليمًا مجانيًّا، ومنذ إنشائها في عام ١٨٦٠م حمَلتْ هذه المنظمة (الإليانس) على عاتقها تعليمَ الشباب والأطفال من اليهود الشرقيين (السفردين) من المغرب حتى إيران وتربيتهم، وخلال الحرب العالمية الأولى أشرفت هذه الجمعية على تربية وتعليم ٤٣ ألف طالب في ١٨٣ مدرسة.

٣- جمعية مُحبّي صهيون:

أُسّست عام ١٨٨١م على إثر الاضطهاد الذي تعرّض له اليهود في روسيا، أسسها "ياهودا لب بنسكر (*Leib Pinsker Yehuda*)" الذي وُلد في مدينة أُوديسا الروسية (١٨٢١م-١٨٩١م)، وكان يؤمن بوجوب الاستيطان في فِلِسْطين، وأنّه إذا استطاع أنْ يوضح للدُّوَل الأوروبية حقّ اليهود في إقامة وطن قوميّ لهم، فإنَّ الغَرْب سيدعَم الصهيونية ويُساندها، أَسست الجماعات اليهودية التي تتبنى هذه الأفكار كثيرًا من فروع جمعية مُحبّي صهيون في أماكن عِدّة؛ إذ كان عدد هذه

المقرّات التي أنشئت في أوروبا الشرقية وروسيا ما بين ١٨٨٢-١٨٨٣ م اثني عشر فرعًا، ثمّ زاد هذا العدد حتى وصل إلى ١٣٨ مقرًّا جديدًا للجمعية ما بين ١٨٨٩ - ١٨٩٠م.

٤- "اتحاد المستعمَرات اليهودية (*Jewish Colonization Association*)":

أسس عام ١٨٩١م على يد "هرتش" بهدف إنشاء مستعمَرات لليهود في الأرجنتين ومناطق أخرى.

٥- "الاتحاد الإنجليزي اليهودي (*Anglo- Jewish Association*)":

أُسّس بهدف مساعدة اليهود وتقديم الدعم لهم، وكان له نشاط فعّال في المجال السياسيّ.

٦- المنظمة الصهيونية العالمية:

ظهرت فكرة الصهيونية على يد هرتزل، وشهدت تطورًا كبيرًا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت تهدف إلى إقامة دولة مُستقلّة لاستيطان اليهود في فِلِسْطين من خلال كافة المنظمات الصهيونية.

٧- لجنة المُساعدات الأمريكية المُشتركة.

٨- جمعية حماية حقوق المرأة اليهودية.(١٢٦)

كانت هذه الجمعيات تعمل على توطين اليهود في فِلِسْطين مُتذرّعة بحُجّة إنشاء مُؤسّسات خِدمية نافعة كالمستشفيات والمدارس.

وعلى سبيل المثال، فقد ذُكر في أحد الوثائق أن أعضاء مجلس ولاية سوريا قد قَبِلوا بافتتاح مدرسة زراعية في يافا باسم الجمعية العمومية الإسرائيلية ومقرها باريس، وكانت شروط الاتفاق التي أعدت لهذا الأمر كالتالي:

(١٢٦) علي أرسلان، مصدر سابق، ص ٤٠-٥١.

" وفي عام ١٢٨٥هـ تقدّم السيد "شارل ناتور (*Şarl Nator*)" بدعوى للحكومة العثمانيّة بواسطة سفارة باريس؛ من أجل تخصيص أراضٍ لافتتاح مدرسة زراعية في يافا وضواحيها باسم الجمعية العموميّة الإسرائيلية ومقرها باريس، وقد بحث أعضاء مجلس ولاية سوريا هذه الدعوى، وأيضًا الدعوى التي قُدّمت بعد ذلك من قِبَل السيد كرامبو رئيس هذه الجمعية، وأعطى الإذن بإنشاء هذه المدرسة، إلا أن السيد شارل ناتور المُفوض من قِبَل الجمعية العمومية الإسرائيلية قد حصل على التصاريح اللازمة لإنشاء مدرسة زراعية في مدينة القُدْس، ولكن بالشروط التالية:

١- أن تكون هذه المدرسة باسم "مدرسة الجمعية العمومية الإسرائيلية الزراعية"، وأن تخضع لقوانين الدَّوْلة العَليّة، وتشرف عليها إدارة المعارف، وأن تُعدّ واحدة من المدارس العثمانيّة، وتتمتع بحماية الدَّوْلة العَليّة.

٢- يُقبل في هذه المدرسة من ثلاثين إلى ستين طالبًا، ويُقيمون لمدة ثلاث سنوات.

٣- رَغْم أن هذه المدرسة تُبنى من أجل الأطفال اليهود، فإن الطلبة والأطفال من أصحاب الملَل والمذاهب الأُخرى يتمّ قبولهم أيضًا في هذه المدرسة، وتكون أعمارهم ما بين ١٣ إلى ١٦ سنة.

٤- أن يكون طلبة هذه المدارس من رعايا الدَّوْلة العثمانيّة.

٥- في حالة وجود طلبة من الخارج يرغبون في الالتحاق بهذه المدرسة من أجل الدراسة فقط، فإن طلباتهم تُقبل ويتلقّون تعليمًا مجانيًّا.

مدرسة الزراعة اليهودية في يافا

(جامعة إسطنبول، مكتبة الآثار النادرة، ٩٠٥٠٤-٩١)

٦- أن يُؤخذ من كل طالب من الطلاب المُلتحقين بهذه المدرسة مبلغ يُقدّر من ٢٠٠-٣٠٠ فرانك سنويًّا شاملًا للطعام والشراب والملابس وباقي الاحتياجات الأُخرى.

٧- أن تُدرّس مواد الزراعة لطلبة هذه المدارس.

٨- تمنح الدَّوْلة العثمانيّة من خِلال الإدارة المحلية المساحة التي تطلبها هذه الجمعية من أراض في مدينة القُدْس، وتُقدّر بـ ٢,٦٠٠ دونم (فدان) مُقابل إيجار سنويّ يُقدّر بـ ٧,٥٠٠ قِرْش.

وطالما استمرّت هذه الجمعية بدفع الإيجار، وعَمِلت وفْقًا لهذه الشروط، فإنَّ هذه الأراضي ستظلّ تحت سيطرتها، ولكن اعتبارًا من تاريخ صدور القرار السلطانيّ ستُعْفى هذه الجمعية من دفع الإيجار لمدة عشر سنوات بمنزلة هِبَة ودَعْم من السلطان العثمانيّ لها.

٩- ضرورة إنشاء هذه المدرسة في غضون عامين، وإن لم تبنَ خِلال هذه المدة يُعد التصريح لاغيًا، وفي حالة إغلاق الجمعية لهذه المدرسة بعد إنشائها، تعود هذه الأراضي وما عليها من أبنية إلى الدَّوْلة العثمانيّة، بشرط أن تدفع الدَّوْلة ثمنها.

١٠- تُعفى هذه الجمعية من أعشار المحاصيل الزراعية التي تخرج من هذه الأراضي، وفي حالة تصدير هذه المحاصيل تحصل الدَّوْلة على ضريبة جُمْركية فقط.

١١- لن تُؤخذ ضريبة جُمْركية عن مُشتريات هذه المدرسة الخارجية عدا الآلات الزراعية.

(١٥شباط/فبراير ١٨٧٠م)" .